

ایقاظ الحواس فی بعض أسرار سورة الناس

تألیف

السید عبد الله بن عبد الباری الأهدل

المتوفی سنة ۱۲۷۱ هـ

رحمه الله

تعالی

آمین

الطبعة الأولى

۱۴۰۳ هـ

مکتبة ومطبعة النهضة الکلاسیة

لصاحبیهما

عبد الشکور عبد الفتاح ذرا

شارع الحرم - باب العمرة

۵۷۴۴۵۹۵ : ۳

بسم الله الرحمن الرحيم

طبع

بإذن مكتب مراقبة المطبوعات

بوزارة الإعلام

بجدة رقم ٦٩٤ - م - ج - ٢٠ / ٥ / ١٤٠٣ هـ

ترجمته المؤلف

رحمه الله تعالى

آمين

هو الشيخ العلامة والبحر الفهامة شيخ الإسلام ومفتي الأنام فخر الدين السيد عبد الله بن عبد الباري بن محمد بن عبد الباري بن محمد الطاهر بن محمد بن عمر ابن عبد القادر بن أحمد بن حسن بن عمر بن محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن علي الأهدل .

جوهري النظام أزهرى السجايا العظام حلى بعقود نظمه عواطل الأجياد وسبق بجواد فكره الصافنات الجياد وتضلع من فنون العلوم واطلع على خفايا النطوق منها والمفهوم وكان قوي البادرة كثير المحفوظات وتفوق رحمه الله حتى أنه كان يلقب بالشافعي الصغير .

ميلاده : ولد رحمه الله تعالى بعد الثمان ومائتين بعد الألف بمدينة المراوعة تابع الحديدة من بلاد اليمن .

نشأته : نشأ وترعرع في نعمة أبيه مشمولاً بعنايته مكفولاً برأفته وهو أصغر أولاده التسعة العلماء وهم : محمد المتوفى سنة ١٢٩٠ هـ وإسماعيل المتوفى سنة ١٢٧٥ هـ وأحمد المتوفى سنة ١٢٥٦ هـ والجمالي المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ وحسين المتوفى سنة ١٢٤٠ هـ وعبد القادر المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ وسليمان المتوفى سنة ١٢٠٠ هـ والحسن المتوفى سنة ١٢٩٣ هـ رحمهم الله تعالى .

مشايقه : كثيرون منهم السيد العلامة علي بن عبد الله مقبول الأهدل المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ رحمه الله تعالى ومنهم أخوه الحسن المتوفى سنة ١٢٩٣ هـ وعليهما تخرج في أنواع العلوم ، ثم رحل إلى الجبال وكرع وتضلع في علوم البلاغة والأدب وغيرها من العلوم الآلية حتى فاق الأقران وصار المشار إليه بالبنان بحيث أن تلميذه

شيخ الإسلام السيد محمد بن أحمد عبد الباري الأهدل مؤلف الكواكب الدرية بشرح
التممة الأجرومية لا يصفه إلا بالعلامة المحقق ، وقال في حقه كان مجراً لا يجارى
وإماماً في جميع العلوم لا يمارى وهو الخبير به وناهيك بهذه الشهادة من شيخ الإسلام ..
ثم في عام ١٢٦٠ هـ رحل لحج بيت الله الحرام واجتمع بكثير من علمائها منهم :
الشيخ عبد الله سراج الحنفي المولود بمكة المكرمة سنة ١٢٠٠ هـ رحمه الله تعالى
ومنهم الشيخ عثمان الدمياطي المكي المتوفى سنة ١٢٦٢ هـ ومنهم الشيخ أحمد الدمياطي
المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١٢٧٠ هـ رحمه الله تعالى واجتمع فيها بمفتي طرابلس
وهو إبراهيم الخليل المتوفى سنة رحمه الله تعالى .

مؤلفاته : أما مؤلفاته فمنها : هذا الكتاب الموسوم بإيقاظ الحواس في بعض
أسرار سورة الناس ومنها : النجم الثاقب في وجه المبتدع الكاذب ومنها : رسالة في
تعريف الحمد وهي في اللغة ، وهذه النسخ الثلاث موجودة ضمن المجموعة المخطوطة
رقم ١ بمكتبة الحرم المكي الشريف ومنها تمرين الطلاب لمعرفة مختصر قواعد
الإعراب ومنها السيف البتار لمن يوالي الكفار ويتخذهم من دون الله والمؤمنين
أنصار ومنها العقود الزبرجدية في نظم الخصائص الحمديدية ومنها القولة الممكنة في
فضيلة الامكنة ومنها نقطة الخال في بيان أقسام الحال في النحو ومنها إتحاف الفكرة
بحكم أهل الفترة ومنها بلغة المجتاز على الأسئلة الواردة من حراز ومنها إتحاف ذوي
البصائر المستمعة ومنها شرح على نظم احتمالات الدليل للسيد سليمان بن يحيى مقبول
الأهدل ومنها شرح على القواعد الفقهية وغير ذلك .

تلامذته : كثيرون ومن أشهرهم مفتي الديار اليمنية السيد محمد بن أحمد
عبد الباري الأهدل مؤلف الكواكب الدرية المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ رحمه الله تعالى .
وفاته : وأما وفاته فكانت في سنة ١٢٧١ هـ بمدينة أسلافه المراوعة ودفن بها
رحمه الله تعالى رحمة الأبرار ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على رسوله
الأمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي تفرد بالأحدية والصمدية وأعاز عباده من شرور ذوي النفوس الردية ووقاهم شر الوسوس والخطرات والأذية وصلى الله وسلم على سيد البرية محمد وآله وأصحابه أرباب الأعمال السنية والاخلاق الزكية ، وبعد فهذا ما تيسر زبره مع الأشغال الكثيرة على الأسئلة العظيمة في المعوذتين أوردها بعض أهل المناصب الخطيرة وهو كما قيل السيد العلامة محمد^(١) بن عبد الرحمن بن سليمان مقبول الأهدل رحمهم الله تعالى سألني بعض الإخوان أن أجمع عليها شيئاً يكون سبباً لفتح مقفلها وحل معتقلها فاسعفته بمراده واستعنت الله تعالى من فيضه وإمداده .

المسئلة الأولى : ما النكتة في ذكر قل من جملة الدعاء ولم تذكر السورة مجردة عن ذلك : إعلم أن الله سبحانه وتعالى هو أعلم بأسرار كتابه وقد يطلع بعض خواصه عليها إما بإلهام أو فهم أو نور رباني ولكننا نتطفل على أولى الأفهام فنقول أخرج البخاري في الصحيح عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال سألت النبي ﷺ عن المعوذتين فقال : قيل لي قل فقلت . قال أبي رضي الله عنه فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ انتهى . فظاهر الحديث أن النبي ﷺ امتثل أمر الله تعالى باتباع قرآنه على ما سمعه من الملك عن الله عز وجل :

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ ﴾^(١)

وكذلك سمع الصحابة منه وتلقوه عنه ، والقراءة سنة متبعة فعلى الرسول البلاغ وعلينا الامتثال والإتباع ودقائق الأسرار يهدي الله إليها من يشاء من عباده الأخيار ويمكن أن يقال والله أعلم أنه سبحانه لما أخبرنا في كتابه أن له الخلق

(١) المتوفى سنة : ١٢٥٨ هـ .

(٢) سورة النحل الآية : ١٠٢ .

والأمر وبيده النفع والضرر وأنه لا كفو له ولا ند ولا مثل وأن أحداً لا يقدر على نفع أحد ولا على ضرره إلا بإذنه .

قام في النفوس أن لا يشر ينسب إلى غيره البتة ولا ضرر يخاف من سواه فأخبرنا أنه خلق بعض مخلوقاته من عالم الخلق مجبولا على الشر كالشيطان وبعضها يغلب عليها ذلك كالحساد والسواحر وبعضها جعله إمارة على الشر ، كالغاسق إذا وقب ابتلاء منه لعباده ليلجئوا إليه من شرها فأمرهم بالاستعاذة به منها بأبلغ أمر وهو لفظ قل الذي صار جزءاً من التلاوة والاستعاذة لإطلاق اسم المعوذتين على السورتين فيشمل قل لأنه من أجزاء الاستعاذة مبالغة في الحث عليها فإن المستعيز إذا سمع في أول الاستعاذة لفظ قل ارتاع لأمر الله فسارع إلى الاستعاذة بقلب مقبل متمثل فيفوز بالإعاذة من هذا الشر العظيم المهم ثم رأيت في تفسير الفخر الرازي ما لفظه إعلم أن قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾^(١) .

فيه فوائد أحدها أنه عليه الصلاة والسلام كان مأموراً بالرفق واللين في جميع الأمور كما قال تعالى :

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾^(٢) .

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَأُوفٌ وَحِيمٌ ﴾^(٣) .

ثم أنه عليه الصلاة والسلام كان مأموراً بأن يدعو إلى الله بالوجه الحسن .

﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾^(٤) .

فلذلك لما خاطبهم بيا أيها الكافرون فكانوا يقولون كيف يليق هذا التغليظ

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٥٩ .

(٤) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

(١) سورة الكافرون الآية : ١

(٣) سورة التوبة الآية : ١٢٨

بذلك الرفق فاجاب بأنه مأمور بهذا الخطاب لا أنني ذكرته من نفسي فكان المراد من لفظ قل تقرير هذا المعنى . ثانياً كانه تعالى يقول يا محمد ألت أنزلت عليك ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾^(١).

فحكمت بأن من سوى بين الإله الخالق وبين الجهاد في العبودية لا يكون عاقلاً بل يكون مجنوناً والكفار يقولون أنك مجنون وقد أقسمت . ﴿ بَنُونَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾^(٢)

فصرح برد مقالتهم بما يفيد براءتي من عيب الإشراك وبراءتك من عيب الجنون فقل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون . ثالثاً : أن موسى عليه السلام كان في خلقه حدة وخشونة فقل له . ﴿ قُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾^(٣).

ومحمد ﷺ لما كان ألين الخلق دمه أمر بإظهار الغلظة عليهم فقل له قل يا أيها الكافرون انتهى . نقلته من تفسير الفقيه العلامة حسن بن ابراهيم الخطيب وهو قد التزم النقل عن الفخر الرازي والنيسابوري رحمه الله تعالى ويقال حينئذ قياساً على هذا أنه تعالى أمر نبيه ﷺ بالاستعاذة من شر المذكورات وكانت في نسبة الشر إليها والمواجهة به ما عساه يستحي منه ﷺ فقل له قل أعوذ بالنع وفي تفسير الرازي ما لفظه أنه سبحانه لما شرح أمر الإلهية في سورة الاخلاص ذكر هذه السورة عقبها في شرح مراتب مخلوقاته فقال أولاً .

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾^(٤).

وذلك أن ظلمات العدم غير متناهية والحق سبحانه هو الذي فلق تلك الظلمات

(٢) سورة القلم الآية : ١ و ٢

(١) سورة النحل الآية : ١٧ .

(٤) سورة الفلق الآية : ١

(٣) سورة طه الآية : ٤٤

بنور التكوين والإيجاد والابداع فلماذا قال قل أعوذ برب الفلق انتهى . وفي
البيضاوي ما نصه وقرئ هو الله أحد بلا قل مع الاتفاق على أنه لا بد منه في قل
يا أيها الكافرون ولا يجوز في ثبت ولعل ذلك لأن سورة الكافرون مشاقة
وموادعته إياها وتيت معاتبته فلا يناسب أن تكون فيه قل وأما هذا فتوحيد
يقول به تارة ويأمر بأن يدعو إليه أخرى انتهى . قال الشهاب في حواشيه عليه ،
ومثله أي قل يا أيها الكافرون إنما يكون من الله لأنه ﷺ مأمور بالإندار والجهاد
بخلاف معاتبته أبي لهب فإنه ﷺ على خلق عظيم وأدب جسيم ، فلو أمر بذلك لزم
مواجهته به وأما التوحيد والعود والرقا فما يقوله تارة ويبلغه أخرى فلماذا ورد
بهما فسقط ما قيل من أن قل لا تدل على أنه منه ، بل من الله فلا يلزم المواجهة
به وما قيل من أنه لا يصح من الله لا أعبد ما تعبدون فلا بد فيها من قل ليس بشيء
لأنه لا يلزم ذكره بهذا اللفظ انتهى . وفي العجايب والغرايب للكرماني قل صار
متلوا في السور الأربع لأنها أنزلت جواباً انتهى . وفي تفسير جامع البيان ما لفظه
فإن قلت المناسب أن يتعوذ المتعوذ بأعوذ برب الفلق أعوذ برب الناس إلى آخر
السورتين من غير لفظ قل قلت المقصود التعوذ بالسورتين المذكور فيهما الاستعاذة
من حيث أنهما كلام الله المجيد والسورة هي مجموع قل أعوذ إلى تمام السورة وبدون
قل بعض السورة وليس الغرض التكلم بهذه الكلمات فرمما لا تنفع لو غير النظم
المجيد مع أنه تكلم بجميع تلك الكلمات انتهى والله أعلم .

قلت والحديث يشهد له وذلك أنه لما سحر النبي ﷺ نزلت عليه المعونتان
فأمر أن يستعين بهما وهو ظاهر :

المسئلة الثانية : ذكر في الجلالين أن بسم الله الرحمن الرحيم في الفاتحة متعلقة
بقولوا محذوفة فهل يصح هنا أن تتعلق بسم الله الرحمن الرحيم بقل المذكورة
لتكون البسمة مقول القول .

قال علماء النحو أن الباء في البسملة يحتمل أن تكون زائدة والحرف الزايد لا يتعلق بشيء ويحتمل أن تكون أصلية وهي متعلقة بمحذوف فعل أو وصف أو مصدر وذلك المحذوف واجب الحذف لجريان البسملة مجرى المثل على الأولين ولو وقعها خبر المبتدأ على الثالث لأن الظرف يجب حذف متعلقه إذا كان خبر المبتدأ ولو في الأصل ذكر ذلك كله العلامة ابن عنقا في شرح العمريطية وعليه فلا يجوز أن تتعلق الباء هنا بقل المذكورة لأنها مذكورة ومتعلق البسملة كما ذكرنا يجب حذفه فلا يتأتى إلحاق بسملة المعوذتين ببسملة الفاتحة لوجود الفارق بأن متعلق تلك محذوف ومتعلق هذه مذكور وأيضاً فقد اختلف القراء في البسملة في غير الفاتحة هل هي من السورة أم لا وبعضهم قال أنها ليست قرآناً فيها وإنما جيء بها للفصل فعلى القول بأنها ليست آية من السورة لا يمكن أن تتعلق ببعض أجزاء السورة وهو ظاهر وعلى القول بأنها آية من السورة هي مذكورة للتيمن في البداية وصارت فيه جارية مجرى المثل فيجب حذف متعلقها فإن قلت فقد ذكر متعلق البسملة في الحديث حيث ورد :

« إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْخَلَاءَ فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ إِنَّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ » : وورد « سَتَرْتُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْخَلَاءَ أَنْ يَقُولَ بِسْمِ اللَّهِ » .

الحديث قلت ليس المراد في الحديث إلا تعليم أن يقولوا هذا اللفظ المذكور وليس المراد إنشاء البسملة لقصد التيمن الذي هو المراد في الآية وهو الذي جرى مجرى المثل فإن قلت فالبسملة في أول الفاتحة جارية مجرى المثل فإن المقصود بها التيمن والفصل فما الذي سوغ للجلال تقدير قولوا فعلاً خاصاً فإنه يشبه ما في الحديث من قصد تعليم الخلق أن يقولوا لفظها فعلى هذا يمكن أن تتعلق البسملة في المعوذتين بقل ليكون المقصود تعليم أن يقول الشخص بسم الله الرحمن الرحيم

أعوذ برب الفلق أعوذ برب الناس فتكون البسملة فيهما أيضاً من مقول القول قلت : الذي حمل الجلال على تقدير ذلك أن يتوافق ما قبل إياك نعبد وما بعدها في كونه مقولاً للعباد لأن التوافق أبلغ من التخالف ومع فرض عدم تقديره يتخالف المقول فيكون البعض الأول من مقول الله سبحانه والبعض الثاني من مقول العباد وهو وإن كان صحيحاً في ذاته لكن ليس فيه جزالة التناسق والتوافق الذي في الوجه الأول . قال الخطيب في تفسيره والبسملة وما بعدها إلى آخر السورة مقول على ألسنة العباد ليعلموا كيف يتبرك بإسمه تعالى ويحمد على نفسه ويسأل من فضله ويقدر في أول الفاتحة قولوا كما قاله الجلال المحلي ليكون ما قبل إياك مناسباً له في كونه من مقول العباد انتهى .

نعم قد يقال عند من يجعل البسملة آية من السورة أنه يمكن جعلها في المعوذتين متعلقة بقل المذكورة لتعليم العباد كيف يتحصنون من شرور العباد ولا يعترض بأنه قد علمهم التعوذ برب الفلق ورب الناس ملك الناس إله الناس فلا يحتاج إلى تقدير البسملة متعلقة بقل .

فالجواب لا يلتفت إلى هذا وإلا ورد علينا ما في الحديث :

« بِسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ ، والله أعلم .

المسئلة الثالثة : ما النكتة في إشار أعوذ على أستعيد . قال الجزالي : التعوذ الالتجاء من مخوف إلى كاف يكفيه انتهى فقد علمت أن التعوذ التجاء من مخوف ولا سيما من الشيطان الذي هو أصلى العداوة لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ (١)

فالمسارعة في طلب الإعاذة منه والتحصن من شره وشر كل ذي شر مطلوبة

بلفظ أعوذ الذي هو أخف وأقل حروفاً من أستعين إذ السين والتاء فيه حرفان يزدان للتأكيد والطلب والمقام مقام خوف وفزع وانتقباض لا مقام أمن وبسط فيناسبه السرعة والتخفيف لقوله تعالى :

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾^(١)

الآية قال المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير قد جاء الكتاب والسنة بأعوذ بالله ولم يسمع بالله أعوذ لأن تقديم المعمول تفنن وانبساط والاستعاذة حال خوف وقبض بخلاف الحمد لله والحمد لله ، فإنه حال شكر وتذكر إحسان ونعم انتهى وقال الفخر الرازي لم يسمع بالله أعوذ لأن الاتيان بلفظ الاستعاذة امتثال للأمر ، وقال بعضهم تقديم المعمول في الكلام تفنن وانبساط والاستعاذة هرب إلى الله وتذلل وانتقباض فقبح عنان الانبساط والتفنن فيه لا يليق انتهى . قلت ولكونه مقام هرب والهارب يستعمل الأخف ما أمكنه ناسب أعوذ وقد قرئ قل عوذ بنقل حركة الهمزة على اللام وهي الفتحة وحذف الهمزة وذلك لقصد المسارعة والله أعلم .

المسئلة الرابعة : ما النكتة في إيثار المضارع على أعذني ، قلت صيغة المضارع تفيد قصد الدوام والاستمرار التجديدي فكان المستعين يطلب من الله أن يعينه من الشيطان دائماً وصيغة الأمر إنما هي لطلب إيجاد الماهية فتصدق بأدنى إعادة ولو مرة فإنها ضرورية قال أبو السعود في تفسير قوله تعالى .

﴿وَلَا تُنِيْ أَعِيْذُهَا بِكَ وَذُرْ يَتَّخِذْ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٢)

ما لفظه وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار انتهى .

قلت وقد جاء القرآن والسنة بإيثار هذه الصيغة في أكثر المواطن فقال تعالى

(٢) سورة آل عمران الآية : ٣٦ .

(١) سورة فصلت الآية : ٣٦ .

حكاية عن موسى عليه السلام :

﴿ اُعُوذُ بِاللّٰهِ اَنْ اَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِيْنَ ﴾ ^(١) . وعن نوح عليه السلام .

﴿ قَالَ رَبِّ اِنِّيْ اُعُوذُ بِكَ اَنْ اَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِيْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ ^(٢) .

وعن مريم عليها السلام . ﴿ اُعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ اِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ ^(٣) .

﴿ وَقُلْ رَبِّ اُعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِيْنِ ﴾ ^(٤) .

والنكته فيه أيضاً ورائكة الإستمرار أن فيه إعلاماً لذوي الشرور بأنه في جوار الله وحصنه فيحصل لهم الكف عنه والانزجار فإنه لا يقدر أحد على تعدي جوار الله تعالى وحفظه ولهذا قالت مريم عليها السلام لجبريل عليه السلام حين ظنته من أرباب السوء إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً : وإنما جاء موسى عليه السلام بصيغة الماضي في قوله تعالى :

﴿ اِنِّيْ عُدْتُ لِرَبِّيْ وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ ﴾ ^(٥) .

إعلاماً لهم بأنه قد استعاذ بالله تعالى ومن استعاذ بالله كفاه شر المعتدين وفيه تفاؤل بتحقيق الوقوع حتى كأنه قد أعيد ، بل قد يقال أن موسى عليه السلام قطع بذلك لأنه لا يخاف بأسهم لقوله تعالى :

﴿ لَا تَخَافَا اِنْسِيْ مَعَكُمْ اَسْمَعُ وَاَرَى ﴾ ^(٦) . ﴿ لَا تَخَفْ اِنَّكَ اَنْتَ

الْاَعْلَى ﴾ ^(٧) .

وغير ذلك فقد تحقق العصمة من شرهم والله أعلم .

(٢) سورة هود الآية : ٤٧ .

(٤) سورة المؤمنون الآية : ٩٧ .

(٦) سورة طه الآية : ٤٦ .

(١) سورة البقرة الآية : ٦٧ .

(٣) سورة مريم الآية : ١٨ .

(٥) سورة المؤمن الآية : ٢٧ .

(٧) سورة طه الآية : ٦٨ .

المسئلة الخامسة : ذكر في سورة الفلق من الأسماء الحسنی اسم الرب وذكر في سورة الناس ثلاثة أسماء والحال أن المستعاذ منه في سورة الفلق ؟ متعدد وفي سورة الناس واحد فما النكتة في ذلك قال الفخر الرازي في تفسيره اعلم أن في هذه السورة لطيفة عظيمة وهي أن المستعاذ به في السورة الأولى مذكور بصفة واحدة وهي رب الفلق والمستعاذ منه ثلاث آفات الغاسق والنفاثات والحاسد . وأما في هذه السورة فالمستعاذ به مذكور بثلاث صفات وهي الرب والمملك والإله والمستعاذ منه آفة واحدة وهي الوسواس والفرق بين الموضعين أن الثناء يجب أن يتقدر بقدر المطلوب والمطلوب في السورة الأولى سلامة النفس والبدن والمطلوب في السورة الثانية سلامة الدين وهذا تنبيه على أن مضرة الدين وإن قلت أعظم من مضرة الدنيا وإن عظمت انتهى .

قلت وقد يجاب بأن الشرور المنسوبة إلى غير إبليس لما كانت تأتي من جهة واحدة ولا تنتهي مضرتها لسوى النفس والبدن جيء في طلب الإستعاذة منها بوصف الرب لأن دفع المضار البدنية والنفسية تربية ولما كان إبليس اللعين أعاذنا الله منه يأتي من الجهات الأربع كما ذكر الله سبحانه عنه :

﴿ لَا تَنْبَهُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ (١)

وتنتهي مضرته للبدن والنفس والدين بولغ في الاستعاذة منه فجيء بثلاثة أوصاف جامعة لمعاني الأسماء الحسنی كلها لأن وصف الرب يفيد التربية لأن الإعاذة من شره الذي يضر البدن والنفس تربية ووصف المملك يفيد تحقيق الملكية على العبد بدفع شر الاستحواذ عليه من قبل الشيطان فلا يكون مملوكاً حقيقة إلا له تعالى فإن من استحوذ عليه الشيطان كأنه عبده وكان الشيطان ملكه ووصف

الإله يفيد تحقيق عبودية العبد وتألهه الله تعالى فإن من أطاع الشيطان واتبع هواه صار كأن الشيطان إلهه .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ ^(١) .

الآية هذا المعنى فتح الله به علي وأرجو الله تعالى أن لا يكون مردوداً ولهذا تجد الإستعاذة منه أو طلبها إنما يكون باسم الذات وهو لفظ الجلالة أو ما يعطي معناه كقوله تعالى :

﴿أُعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ، إِنِّي أَعِذُّهَا بِكَ : لِأَنَّ الضَّمِيرَ عَاهِدٌ إِلَيْهِ تَعَالَى أَنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ . وَقَوْلُ مَرْيَمَ أَنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ﴾ . يقال عليه أن المستعاذ منه هناك غير الشيطان وعلى فرض أن يكون استعاذت من عمله والرحمن إسم للذات أيضاً لأنه إسم مختص به تعالى وقول موسى عليه السلام : « إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ : لِأَنَّهُ طَلَبَ الْإِسْتِعَاذَةَ مِنْهُمَا إِنَّمَا هُوَ مِنْ غَيْرِ الشَّيْطَانِ وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى جَنَحَ السَّيِّدُ عَلَى الْوَفَا كَمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الشُّعْرَانِي بِقَوْلِهِ أَجْمَعَ أَهْلَ الْحَقَائِقِ عَلَى أَنَّهُ الْإِسْمُ الْجَامِعُ لِحَقَائِقِ الْأَسْمَاءِ كُلِّهَا قَالَ وَنَظِيرُ ذَلِكَ أَيْضاً :

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ^(٢) .

أي من ذكر ساير الأسماء ، قال الشيخ محي الدين ونحو ذلك أيضاً بالنظر للإستعاذة من الشيطان إنما خص الأمر بالإستعاذة بالإسم الله دون غيره من الأسماء لأن الطريق التي يأتينا منها الشيطان غير معينة فأمرنا بالاستعاذة بالإسم الجامع فكل طريق جاءنا منها يجذب الاسم الله مانعاً له من الوصول إلينا بخلاف الأسماء الفروع

انتهى : وفي تفسير العلامة الفقيه حسن بن ابراهيم الخطيب الذي لخصه من تفسير النيسابوري ما لفظه إنما أمرنا بالاستعاذة بالله هناك أي في آية :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾^(١) .

لأنه مهم أعظم من حفظ النفس والبدن عن السحر فلذلك ذكر الاسم الأعظم هناك دون ههنا ولأن الشيطان يباليغ في منع الطاعة أكثر مما يباليغ في إيصال الضرر إلى البدن والروح فلذلك خصت الاستعاذة منه بالاسم الأعظم انتهى .

المسئلة السادسة : ما النكتة في تخصيص اسم الرب والمملك والاله في سورة الناس قال الخطيب في تفسيره أنه قد اشتملت هذه الاضافات الثلاث على جميع قواعد الإيمان وتضمنت معاني أسمائه الحسنى فإن الرب هو القادر والخالق إلى غير ذلك مما يتوقف الاصلاح والرحمة والقدرة الذي هو بمعنى الربوبية عليه من أوصاف الجمال والمملك هو الأمر الناهي المعز المذل إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى العظمة والجلال وأما الاله فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال فيدخل فيه جميع الأسماء الحسنى ولتضمنها معاني الأسماء الحسنى كان المستعيز بها جديراً بأن يعاذا انتهى .

المسئلة السابعة : ما النكتة في الترتيب بينها قال الخطيب وقع ترتيب هذه الأسماء الثلاثة على الوجه الأكمل الدال على الوجدانية لأن من رأى ما عليه من النعم الظاهرة والباطنة علم أن له مريباً فإذا درج في العروج في درج معارفه سبحانه علم أن له غنى عن الكل والكل راجع إليه وعن أمره تجري أمورهم فيعلم أنه ملكهم ثم يعلم بانفراده بتدبيرهم بعد إيداعهم أنه المستحق للإلهية بلا مشارك له فيها انتهى . وفي جامع البيان أنه من قبيل الترقى من صفات الكمال فان المملك أعلى

من الرب لان كل ملك رب ومالك ولا ينعكس كلياً ثم الإله الذي هو خاص بالله جعله غاية البيان انتهى .

وفي تفسير المحقق أبي السعود ما لفظه برب الناس أي مالك أمورهم ومربيهم بإفاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وملك الناس عطف بيان جيء به لبيان أن تربيته تعالى إياهم ليست بطريق تربية ساير الملوك لما تحت أيديهم من ممالكهم ، بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي والسلطان القاهر وإله الناس عطف بيان لبيان أن ملكه تعالى ليس لمجرد الإستيلاء عليهم والقيام بتدبير أمورهم وسياستهم والتولي لترتيب مبادئ حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى أمر الملوك بل هو بطريق العبودية المؤسسة على الألوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي انتهى .

المسئلة الثامنة : هل الاولى أن يجعل من باب تعدد النعت أو تعدد البدل أو تعدد عطف البيان أو الجميع على حدسوا : الوجوه الثلاثة كلها صالحة في العربية وقد حكاه المفسرون على الوجه الذي يفيد التسوية كقول الجلال الحلي بدلان أو صفتان أو عطف بيان فظاهره أنها على حدسوا وذلك لأن النعت كما قال ابن عنقا أخو عطف البيان في الجوامد إذ هو تابع يشبه النعت الحقيقي في توضيح متبوعه إن كان معرفة وتخصيصه إن كان نكرة بناء على جواز مجيئه في النكرات وهو الاصح والبدل المطابق هو عطف البيان لا فرق بينهما عند الرضي وإن خالفه البقية ، وقد يقال الغالب في استعمالهم تقديم الارجح لانهم يقدمون ما هو أهم ، وهم بشأنه أعنى وعليه فالاولى أن يقال أن هذا من باب تعدد البدل ويليه تعدد الوصف وتعدد عطف البيان آخرها رتبة وذلك مقتضى صنيع الجلال الحلي حيث بدا بالبدل ثم بالنعت ثم بعطف البيان وتوجيه من وجوه عديده ، إفادة البدل التوكيد لانه في نية تكرير العامل والتوضيح وكونه مقصوداً بالنسبة وقولهم المبدل منه في نية الطرح ، إنما يعنون به من جهة اللفظ دون المعنى وقد يقال بترجيح

عطف البيان من حيث أنه يكون بالأجلى الإبين لقول ابن عنقا عطف البيان يخالف النعت في أنه لا يكون إلا جامداً غير مؤول بالمشقق وأنه قد يكون أعرف من متبوعه بل أوجبه ابن عصفور تبعاً لظاهر كلام الزمخشري والجرجاني والصحيح أن الشرط كونه أجلى عند المخاطب وإن لم يكن أعرف منه انتهى وقد عرفت أن صفة الملك أخص من صفة الرب وصفة الإله أخص منهما وأن ذلك من باب الترقى في صفات الكمال فيناسبه عطف البيان دون النعت والبذل وهذا الذي أطبق عليه جماعة من المفسرين كآبي السعود وجامع البيان وغيرها ووجه ما ذكرنا قال في المغنى ومن الوهم قول الزمخشري في ملك الناس إله الناس^(١) أنهما عطف البيان والصواب أنهما نعتان ، وقد يجاب بأنهما جريا مجرى الجوامد إذ يستعملان غير جاريتين على موصوف وتجري عليهما الصفات نحو قولنا إله واحد وملك عظيم انتهى . ولهذه النكتة آخره الجلال في الذكر والله أعلم .

المسئلة التاسعة : ما النكتة في الإظهار في موضع الاضمار في ملك الناس إله الناس . قال المحلى إظهار المضاف اليهما زيادة للبيان ، ولم يكن وملكه وإلهه ضميراً قال الكرخي قوله زيادة للبيان لأنه قد يقال لغيره رب الناس كقوله :
﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾^(٢)

وقد يقال ملك الناس وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان وفي ذلك الترقى من الأدنى إلى الأعلى ونسبه بالصقات الثلاث على مراتب معرفته فإنه يستعمل بالنعم على ربه ثم يترقى إلى أن يتحقق احتياج الكل إليه فيعلم أنه الملك ثم يستدل به على أنه المستحق للعبادة . قال في الكشف فإن قلت فهلا اكتفى بإظهار المضاف اليه مرة واحدة . قلت لأن عطف البيان للبيان فكان مظنة

(١) سورة الناس الآية : ٢ و ٣ .

(٢) سورة التوبة الآية : ٣١ .

الإظهار دون الإضمار انتهى . قلت وهذا مصير منه إلى ترجيح أنهما من باب تعدد عطف البيان والله أعلم . وقال أبو السعود ، وتكرير المضاف إليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالإضافة انتهى .

المسئلة العاشرة : هل يصح أن يكون الناس في الجميع اسم فاعل من النسيان حتى يشمل الجن والإنس لم أر من ذكره إلى الآن في هذه الكلمة ، بل ذكروه في الناس الآتي في قوله تعالى : في صدور الناس .

وقياسه أن يصح كونه هنا كذلك حتى يتوافق النظم القرآني ، بل ويمكن جعل الناس شاملاً للجن على القول باشتقاقه من النوس وهو الحركة أو من النسيان لأن الجميع يتصفون بنسيان حقوق الله تعالى لكن من قال باشتقاقه من الإنس بمعنى الظهور لظهورهم واجتئان الجن أو من الأنس ضد الوحشة لأنس بعضهم ببعض يمنع حمله على الجن ويؤيده أطباقهم على ذكر ما يدل على الاختصاص هنا بالبشر . قال الجلال الحلي خصوا بالذكر تشريفاً لهم ومناسبة للاستعاذة من شر الموسوس في صدورهم انتهى . وفي تفسير الخطيب خصهم بالذكر وإن كان رب جميع المحدثات لأمرين : أحدهما أن الناس معظمون فاعلم بذكرهم أنه رب لهم وإن عظموا . الثاني : أنه أمر بالاستعاذة من شرهم فاعلم بذكرهم أنه هو الذي يعيذ منهم انتهى . وفي جامع البيان أضافة إلى الناس ههنا لأن وسوسة الصدر المستعاذ منها في هذه السورة لا تكون إلا للإنسان فكانه قال أعوذ بري من شر موسوسي انتهى . قلت لكن دعوى الحصر ممنوعة مما يأتي عن بعضهم من أن الشيطان يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الأنس ، وعليه فيصح حمل الناس هنا عليهما ليكون أشمل والله أعلم . وقال أبو السعود رحمه الله تعالى تخصيص الإضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين في سلك ربوبيته تعالى وملكوته وألوهيته للإرشاد إلى منهاج

الاستعاذة المرضية عنده تعالى . الحقيقة بالاعادة فإن توسل العايد بربه وانتسابه إليه تعالى بالمربوبية والملكوتية والمعبودية في ضمن جنس هو فرد من أفرادهِ من دواعي مزيد الرحمة والرأفة وأمره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالاعادة لا محالة ولأن المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففي التخصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز إلى إنجائهم من ملكة الشيطان وتسلمته عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى :

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ (١) . انتهى .

فقد علمت ما بينوه من الاختصاص وإمكان كونه شاملاً للجن لا يتأتى إلا بالوجه الذي سبق والله أعلم .

المسئلة الحادية عشر : قوله من شر الوسواس هل فيه حذف التقدير من شر وسوسة الوسواس فيكون من باب مجاز الحذف أو يكون مجازاً مرسلأ أو استعارة فما وجه ذلك : ذكر المفسرون في ذلك أقوالاً :

الأول - أن المراد الشيطان سمي بالحدث أي المصدر لكثرة ملاسته له مبالغة فكأنه وسوسة في نفسه لأنها صنعتها وشغله الذي هو عاكف عليه وعليه فهو من قبيل المجاز المرسل كإطلاق اليد على النعمة لكون اليد مصدراً لها فانها تصل إلى المنعم عليه من اليد .

الثاني - أن المراد به ذي الوسواس ذكره في الكشف وعليه فهو من قبيل مجاز الحذف .

الثالث - المراد به وسواس الإنسان من نفسه وهي وسوسته التي تحدث بها نفسه ذكره الكرماني في غرايبه وعليه فهو حقيقة لغوية .

الرابع - أن الوسواس هو الشيطان نفسه حقيقة لغوية من غير تجوز بحذف

ولا إرسال ، فإن الوسواس بالفتح كما يستعمل إسم مصدر بمعنى الحدث يطلق على نفس الشيطان الموسوس كما في القاموس والمختار ونصه الوسوسة حديث النفس والوسواس بالفتح الاسم مثل الزلزال ويقال لصوت الحلي وسواس والوسواس أيضاً إسم الشيطان الموسوس انتهى . وعليه فهو حقيقة لغوية مقول فيه وفي غيره بالاشتراك فالتجوز غير لازم كما قاله الجمل في حواشيه ومال إليه الشهاب الخفاجي في حواشيه على البيضاوي واعترض القول بمجاز الحذف والقول بمجاز الإرسال ولم أر من حكى وجه الاستعارة ويمكن الحمل عليها يجعل الوسواس مستعاراً للشيطان ووجه التشابه إشارتهما في الحقة والخفاء والتكرير إذ لا فرق بين المجاز المرسل والاستعارة إلا بكونها ما كانت العلاقة فيه المشابهة بين المنقول عنه والمنقول إليه في شيء والمرسل العلاقة فيه غير المشابهة كما حققه علماء البيان والله أعلم .

المسئلة الثانية عشر : ما النكتة في الاستعاذة من الوسواس ولم يستعن من عمله الذي هو الوسوسة كما استعيز في سورة الفلق من شرٍّ ما خاف . ولم يقل مما خلق ، هذا السؤال لم يظهر لي وجهه وأظنه غير مستقيم فقد رأيت مضرراً عليه بعدد يدل على أنه وهم وذلك لأن المستعاذ منه في السورتين هو الشر فالاستعاذة من شر الوسواس كالاستعاذة من شر ما خلق فما هو الذي يشكل فإنما يأتي الإشكال لو كانت القراءة أعوذ برب الناس من الوسواس بحذف شر والله أعلم .

المسئلة الثالثة عشر : ما النكتة في إيثار الذي يوسوس على الموسوس : فيه نكت منها تقرير الغرض الذي سيق الكلام لأجله وهو الاستعاذة من شر الوسواس الذي هو أكبر الأعداء الذي يصل عداوته إلى الاضلال المؤدي لبعث الأبد عن الله تعالى وإضلاله بالوسوسة في صدور الناس فهو متمكن من الاضلال بأبلغ الوجوه بحيث أنه يسلك في صدور الناس ويتمكن من الالتقاء في القلب فتمكنه من ذلك

دليل على تناهي أمره في الإغواء والاغتيال والاقترار على انتهاز الفرصة . ومنها أن المخاطبين ما منهم ألا ويدرك وسوسة في صدره فعرفنا الحق أن ذلك الموسوس الذي تعرفون وسوسته هو الشيطان . قال الشعراني الشيطان أعطاه الاسم اللطيف أنه يجري من ابن آدم مجرى الدم ، ولا يشعر به ولولا تنبيه الشارع لنا على لمة الشيطان ووسوسته في صدورنا ما علمنا أن ثم شيطاناً فما أقدر الجان على الاستتار عن أعين الناس إلا الاسم اللطيف ولهذا كانت أبصارنا لا تدركهم إلا متجسدين انتهى . ومنها أن صيغة الموسوس اسم فاعل لافادة الدوام والاستمرار ومن المعلوم أن وسوسة الشيطان متجددة تنقطع بالذكر وتقع بالغفلة وإيثار صيغة المضارع لافادة إحضار صورة الحال إلى ذهن السامع تنبيهاً للناس على كيفية وسوسته حتى كأنهم يشاهدونها لياخذوا حذرهم منها ويستعدوا لجلباب الاستعاذة بالله من شرها .

المسئلة الرابعة عشر : الذي يوسوس بعد قوله الوسواس هل هو من باب الاطناب فإن قلتم نعم ، فن أي أنواع الاطناب : هو من باب الاطناب وهو أداء المقصود بأكثر من عبارة المتعارف لقصد توضيح أمره وشرح حاله ليتمكن في ذهن السامع فضل تمكن لاحتياج الناس الى توضيح حال الوسواس وبيان الحل الذي يوسوس فيه ليرصد بما يدفع شره فأخرج الكلام على كيفيتين التفضيل بعد الاجمال لأنه أوقع في النفس . وأما أنه من باب أي أنواع الاطناب ، فهو من باب مراعاة الجنس الاشتقاقي بين الوسواس ويوسوس . قال السيوطي ومنها مراعاة الجنس ومنه قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ^(١) . السورة ذكره الشيخ عز الدين انتهى . ويمكن أن يكون الاطناب هنا لقصد الإهانة والتحقير كما ذكروه في قوله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ ﴾^(٢) .

ويمكن أن يكون تهويل شأنه وتعظيمه بانه الذي يتمكن من سلوك صدور

الناس ويوسوس فيها ومن هذا شأنه عظيم الخطر شديد المراس يجب التحرز منه ويجوز أن يكون من باب التفسير . قال أهل البيان وهو أن يكون في الكلام لبس أو خفاء فيؤتى بما يزيله ويفسره قالوا ومن أمثلته :

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ مُخْلِقٌ هَلُوعاً إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ﴾ ^(١) .

الآية والله أعلم .

المسئلة الخامسة عشر : التعريف بالاسم الموصول لمعان فما هو المناسب هنا ؟ قال أهل المعاني . وتعريفه بالموصولية لكرهه لخاص اسمه إما سترأ عليه وإما إهانة له أو لغير ذلك فيؤتى بالذي ونحوها موصولة بما صدر منه من فعل أو قول نحو :

﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا دَيْهٍ أَفٍ لَكُمَا ﴾ ^(٢) . وَرَأَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْنِهَا ^(٣) .

الآية ذكره في الاتقان وعليه فقد يقال المناسب هنا إهانتته واستقباح التصريح باسمه كالذي قال لولا ديه أف لكما وقد يقال أيضاً أنه لتقرير الغرض المسوق له الكلام أو لتقرير المسند اليه أو لتقرير المسند أو لتقرير الجميع ويمكن أن يقال الحكمة فيه التنبيه على وجه العلة التي من أجلها أستعين من شر الوسواس أي لوسوسته في صدور الناس والله أعلم .

المسئلة السادسة عشر . ما النكتة في إثارة الذي على من يوسوس . قال الرضي في شرح الحاجبية لا يقع من الموصولات وصف إلا ما في أوله اللام نحو الذي والتي وبابها لمشابتها لفظاً للصفة المشبهة لكونها على ثلاثة فصاعداً بخلاف من وما انتهى . وقال أيضاً في مباحث الموصولات ما لفظه الذي عند البصريين على وزن عم وسح أرادوا الوصف لها من بين الأسماء الموصولة لكونها على وزن الصفات بخلاف من

(١) سورة المعارج الآية : ١٩ و ٢٠ .

(٢) سورة الأحقاف الآية : ١٧ .

(٣) سورة يوسف الآية : ٢٣ .

وما وإنما وصف بنو الطائية نظراً إلى لفظها إذ هو على لفظ ذو الذي يتوصل بها إلى الوصف بأسماء الأفعال انتهى . فقد علم بما تقرر امتناع الوصف بمن وتعين الذي وعلى القول بأن الذي مرفوع على القطع أو منصوب على الذم فإنثار الذي لأنه أوضح من من والمقام مقام إيضاح وتبيين وذلك لأن الذي نص فيما يكون له وهو المفرد المذكر ومن وما مشترك لأنه بمعنى المفرد والمذكر والمؤنث والمثنى والجمع المذكورين والمؤنثين ، وقد تاتي نكرة موصوفة ونكرة تامة واسم شرط واستفهام فهي مبهمة لا تصلح للإيضاح والله أعلم .

المسئلة السابعة عشر : ما محل في صدور الناس ، محله النصب على أنه مفعول فيه الوسوسة لأن وسوسة الموسوس واقعة فيها وعلامة المفعول به أنه يصح أن يخبر عنه باسم مفعول تام مصوغ من مادة عامله فتحو ركبت الفرس وضربت زيداً الفرس مركوب وزيد مضروب ، وأما نحو دخلت الدار ومررت بزيد فإنما يقال فيه الدار مدخول فيها وزيد مرور به وإن كان يطلق على ذلك أنه مفعول به معنى إطلاقاً عاماً وهو متعلق بـيوسوس ويجوز أن يقال محله النصب على الحاليه وتعلقه بكائن محذوف تقديره الذي يوسوس كائناً في صدور الناس والله أعلم .

المسئلة الثامنة عشر : ما النكته في إيثار صدور على قلوب أو أفكار : نكته ، ذلك المبالغة في نعت وسوسته بحيث أنها تملأ الصدور التي هي كراسي القلوب فيمتلأ بها القلب ويضيق بها الصدر حرجاً ، بل قيل أنها في جميع الجسد كما سيأتى ولأنه لا يتوصل الى القلب الا بمجاوزة الصدر . قال المناوي في فيض التقدير شرح الجامع الصغير على حديث :

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَوَسْوَةِ الصَّدْرِ . »

ما لفظه أي حديث النفس بما ينبغي وأضافها للصدر لأن الوسوسة في القلوب التي في الصدور انتهى .

ففي الآية المجاز المرسل باطلاق اسم المحل على الحال مبالغة وقد فسر الصدور بالقلوب في الآية الجلال المحلي واطلاق الصدر على القلب شائع في الكتاب والسنة كقوله تعالى .

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ ﴾ ^(١) . وقوله تعالى .

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ ^(٢) .

وورد في الحديث « وسوسة الصدر » كما سبق وورد « واسلل سخيمة صدري » ، وورد « الإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر » إلى غير ذلك من الأحاديث والحامل على هذا ورود الأحاديث بوقوع وسوسته على القلب ، كما ورد « الشيطان جاثم على قلب المؤمن » . وسيأتي وحديث « وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا » . ولأن الذي يتأثر بوسوسته هو القلب الذي يعقل به العبد كما هو ظاهر ولهذا قالوا في حديث « إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها » . وفي رواية « صدورها » أن المراد بانفسها قلوبها والله أعلم .

هذا وقد ذكر العلامة ابن العباد في كتاب كشف الأسرار نقلا عن النيسابوري أن مثل تسلط الشيطان على قلوب العباد ، كمثل الفراش يريد أن يطفىء السراج فيحرق نفسه كذلك يوسوس الشيطان فيحرق بنور اليقين وهو نور الإيمان ، ثم يصير ممنوعاً عن القلب كما يصير ممنوعاً عن السماء ، وإنما يوسوس في صدور الناس وحافظ القلب هو الله تعالى والحافظ اذا كان منتبهاً لا يقدر السارق أن يدخل خزائنه انتهى :

ورأيت في تفسير العلامة حسن بن إبراهيم المخلص من تفسير النيسابوري إنما قال في صدور الناس ولم يقل في قلوبهم لأن الشيطان لا تسلط له على قلب المؤمن

(١) سورة الحجر الآية : ١٧ .

(٢) سورة العنكبوت الآية . ٤٩ .

الذي هو بين أصبعين من أصابع الرحمن انتهى . وكانهم لحظوا حرمة قلوب المؤمنين التي استنارت بنور اليقين ولم نجد الشيطان سبيلا إليها فلو حمل الصدور على القلوب لعم قلوب الصالحين والطالحين ، وقد حفظ الله قلوب عباده من سلطان الشيطان وقطع طمعه منهم البتة بقوله :

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾^(١) . وقال **إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ** ﴿^(٢)﴾ .

وأيضا فقلب المؤمن بيت الله كما ورد في الحديث القدسي .

« مَا وَسَعَنِي أَرْضِي وَلَا سَمَانِي وَوَسَعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ » .

ولا يجتمع في مكان واحد ظلمة ونور لإستحالة اجتماع الضدين والى هذا أشار السيد حاتم^(٣) بن أحمد الأهدل حيث قال شعرا :

يا قلب إنك بيت للحبيب فلا ★ تخف عزو واش لومه انفصلا

ويستفاد من هذا المعنى الذي ذكرناه أن الشيطان لا يوسوس في قلوب الأصفياء البتة ويؤيده الحديث :

« إِنَّ الشَّيْطَانَ لَمْ يَلْقَ عُمْرُ مُذْ أَسْلَمَ إِلَّا خَرَّ بَوَّجِهِ » .

أخرجه الطبراني عن سديسة . قال المناوي وهكذا حال الأكابر معه حتى قال أبو حازم ما الشيطان حتى يهاب ، فوالله لقد أطيع فما نفع وعصي فما ضر . وقال بعض العلماء ، لولا أن الحق سبحانه أمرنا بالإستعاذة منه ما استعذت منه لحقارته . وقال في حديث :

« إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ حَالَ وَلَهُ ضَرَاطٌ » .

ان في الحديث حقارة الشيطان وهوانه على أهل الإيمان ولو ناصبوه واستعدوا

(١) سورة الحجر الآية : ٤٢ (٢) سورة الحجر الآية : ٤٠ .

(٣) المتوفى سنة ١٠١٣ هـ رحمه الله تعالى .

له لأعيوه تعباً وأبعدوه هرباً لأنه اذا حصل له من الأذان ما ذكر ، وهو لا قصد له فكيف بمن قصده واستعد له بيد أن الأكبر لا يبالون به لعدم السلطان له عليهم فهو يروض نفسه على ضرهم ، فلا يقدر ويضر نفسه كالفراس يأمن النار فيلم بها فتحرقه انتهى . وقال أيضاً بعد الشيطان من الإنسان على قدر ملازمته للذكر ، والناس في ذلك متفاوتون ولهذا تجنب أولياء الرحمن انتهى . لكن قال الإمام حجة الإسلام الغزالي في حديث :

« إِنَّ شَيْطَانًا مِنَ الْجِنِّ تَقَلَّتْ عَلَيْهِ الْبَارِحَةُ فَعَرَّضَ لِي فِي صَلَاتِي فَشَدَّ عَلَيَّ لِيَقْطَعَ الصَّلَاةَ » .

الحديث ، ان في الحديث اشارة الى أنه لا يخلو قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة انتهى . وهو الذي ينبغي اعتاده لعموم الأدلة فيستفاد منها أنه لا يخلو قلب من جولان الشيطان فيه بالخواطر لكن المصوم لا تضره تلك الخواطر ولا تؤثره لعدم سلطنته عليهم المفيدة للإستيلاء وأولياء الشيطان يتبعونه فيما يزين لهم بالوسوسة . نعم العموم السابق في غير النبي ﷺ ، أما هو فقد أخبر أنه قد أعانه الله على شيطانه فأسلم من الإسلام كما قيل به وأنه ﷺ يسلم من آفة وسوسته كما قيل بالوجهين في حديث ولكن الله أعاني عليه فأسلم ، والحديث الذي فيه تفلت الجنى عليه ليقطع عليه صلاته ليس فيه أنه وسوس له ، فإن الوسوسة هي الصوت الخفي الواصل إلى القلب بغير سماع ، وهذا إنما عرض عليه جبهة بشهاب من نار لما أنه قد أيس من الوصول الى قلبه الشريف لنزاهته عن حظ الشيطان بشق الصدر وغسله واخراج المضغة السوداء التي قال فيها جبريل عليه السلام هذا حظ الشيطان منك أي محل وسوسته والله أعلم .

المسئلة التاسعة عشر . الناس في صدور الناس هل يصح أن يكون اسم فاعل

من النسيان ويكون من الجنة والناس بياناً له . قال في الكشف الأولي أن يقال المراد بقوله في صدور الناس كقوله يوم يدع الداع^(١) "بجذف الياء ، وإذا كانت المراد به ذلك فح"^(٢) يمكن تقسيمه الى الإنس والجن لأنهما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله تعالى انتهى .

وفي الخازن أن الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون من الناس وشيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس أخرى إذا ذكر العبد ربه كذلك شيطان الإنس قد يوسوس للإنسان كالناصح له فإن قبل زاد في الوسوسة وإن كررها انخنس وانقبض فكانه تعالى أمر أن يستعاذ به من شر الجن والانس انتهى .

قلت : وقد جعل بعضهم لفظ ناس متناولاً للثقلين لغة لما في الحديث «أتيناك ناس من الجن» . كاطلاق لفظ النفر والرجال عليهم وهو ظاهر على القول بإشتقاق هذا الاسم من النوس وهو الحركة أو من النسيان لأن الثقلين متصفان بالحركة ونسيان حق الله تعالى ، واستبعده أبو السعود رحمه الله تعالى تبعاً لازم مخشري وارضى الوجه الأول وسيأتي مزيد بيان لذلك .

المسئلة العشرون . هل الناس جمع أو اسم جمع أو اسم جنس ؟ قلت قد قال بكل من هذه الأقوال الثلاثة قايل ، قال في القاموس الناس يكون من الانس ومن الجن جمع إنس أصله أناس جمع عزيز أدخل عليه أل انتهى .

وفي كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ما لفظه ، والناس هم الجماعة من الحيوان المتميز بالصور في صفة الانسانية وهو جمع انسان والانسان في الأصل أنيسان بالياء ألا ترى أنك إذا صغرته رددت الياء اليه فقلت انيسيان فاسقطوا الياء منه ونقلوا حركته إلى السين فصار إنساناً واختلف العلماء في

(١) سورة القمر الآية ٦١ :

(٢) قوله فح : هذا اصطلاح للمتقدمين وله كتب خاصة ومعناه فحينئذ .

سبب تسميته بهذا الاسم ، فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما سمي إنساناً لأنه عهد إليه فنسي . قال الله تعالى :

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ﴾ (١)

وقال بعض أهل المعاني سمي إنساناً من الأنس لظهوره وإدراك البصر إياه من قولك أنست كذا أي أبصرته وقيل لأنه يستأنس به ، وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام أنسه بزوجه حوى فسمي إنساناً انتهى .

وفي تفسير البيضاوي الناس أصله أناس وهو اسم جمع كرجال إذ لم يثبت فعال من أبنية الجمع مأخوذ من أنس لأنهم يستأنسون بأمثالهم أو أنس لأنهم ظاهرون يبصرون ولذلك سمي بشراً كما سمي الجن جنأ لاجتنانهم واللام فيه للجنس انتهى .

وأطلق عليه كثير من المفسرين اسم الجنس والمراد الجمعي لا الاقترادي والفرق بين الجمع واسم الجمع أن الجمع لا يوصف بمفرد ولا يميز به ولا يصغر على لفظه عند الجمهور قياساً غير جمع القلة منه ، بل يرد لمفرده أو جمع قلته ويصغر واسم الجمع يصغر على لفظه ويصح وصفه بمفرد ويميز به ويعطف مثله عليه واسم الجنس الجمعي حكاه وصفاً وتصغيراً ، كاسم الجمع ومدلوله ما فوق الاثنين مطلقاً على الأصح ذكر هذه الفروق ابن عنقا في شرح العمري طية ، وقال الرضي الفرق بين اسم الجمع وانتم الجنس مع اشتراكهما في أنهما ليسا على أوزان جموع التكسير لا الخاصة بالجمع كافعله وأفعال ولا المشهورة كفعله نحو نسوة أن اسم الجنس لا يقع على الواحد والاثنين بخلاف اسم الجمع وأن الفرق بين واحد اسم الجنس وبينه فيما له واحد متميز إما بالياء أو بالتاء بخلاف اسم الجمع انتهى فتلخص في الناس ثلاثة أقوال :

الأول - جمع تكسير وهو المحكي عن القاموس وتفسير الثعالبي .

الثاني - اسم جمع الذي ذكره صاحب الكشف ورجحه وضعف القول بالجمع

(١) سورة طه الآية : ١١٥ .

وتبعه محشوا وكشافه والبيضاوي وهو الراجح .

الثالث - أنه اسم جنس جمعي ولم أر من ذكر أنه اسم جنس إفرادي وإطلاق الأصوليين أن الناس في قوله تعالى .
﴿ أَمْ يَخْسَدُونَ النَّاسَ ﴾ ^(١) .

أي النبي ﷺ وفي قوله الذين قال لهم الناس أنه نعيم بن مسعود الأشجعي إن الناس قد جمعوا لكم ^(٢) . أبو سفيان كل ذلك من باب إطلاق العام مراداً به الخاص تجوزاً أي بدل على امتناع القول فيه باسم الجنس الإفرادي وإلا لما تكلفوا القول بذلك . نعيم من يقول بأن وجه تكلفهم ما فيه من العموم وهو استفاد من أل لا من لفظ ناس قد ينزع فيه .

المسئلة الحادية والعشرون : ما النكتة في إشار الجنبه على الجن : الذي يظهر والله أعلم ، أن نكتة ذلك التفنن وإخراج الكلام على أساليب متعددة فقد جاء التنزيل بلفظ الجن في كثير من المواضع وسموا بذلك لاجتنانهم أي استتارهم عن العيون وسمي الناس ناساً لظهورهم من الإناس أي الابصار ، وقد أفاد الرضي رحمه الله تعالى في شرح الحاجبية أن التاء تأتي لاربعة عشر معنى : منها أن تدخل لتأكيد تأنيث الجمع وهم إما واجبة الدخول وذلك في بابين أفعله كإغربة وفعله كغلمة والجائزة في ثلاثة أبنية ففعاله وفعله والجمع الأقصى انتهى فجئة وزن فعله ، وعليه فنكتة إشار الجنة هي تأكيد تأنيث الجمع ، وقال الكرخي الجنة جمع جني كما يقال انس وانسي والهاء لتأنيث الجماعة انتهى .

ولا بعد في ذلك ، فقد ذكر الجلال الحلي في تفسير قوله تعالى .

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾^(١) .
 أن التاء للمبالغة والله أعلم .

المسئلة الثانية والعشرون . ما النكتة في تقديم الجنة على الناس : نكتة ذلك والله أعلم سبقهم في الوجود على الانس وهو من أسباب التقديم . كتقديم الملائكة على البشر والليل على النهار والظلمات على النور ، وقد ورد التنزيل بتقديمهم على الجن في أكثر المواطن وتقديم الانس على الجن في آية .

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾^(٢) .
 لمناسبة المقام له ويمكن أن يقال أيضاً أن نكتة ذلك التفنن أو مناسبة رأس الآي .

المسئلة الثالثة والعشرون . ما محل من الجنة والناس ، قال ابن عادل في تفسيره من الجنة والناس فيه أوجه :

أحدها - أنه بدل من شر باعادة العامل أي من شر الجنة .

الثاني - بدل من ذي الوسواس لأن الموسوس من الجن والانس .

الثالث - أنه حال من الضمير في يوسوس حال كونه من الجنسين .

الرابع - أنه بدل من الناس وجعل من تبينينة وأطلق على الجن اسم الناس لأنهم متحررون في إرادتهم .

قال أبو البقاء : إلا أن الزمخشري أبطله ، فقال بعد أن حكاه واستدلوا بنفر ورجال وما أحقه إلا أن الجن سموا جنّاً لاجتنائهم ، والناس ناسياً لظهورهم من الاليناس وهو الابصار كما سموا بشراً ولو كان يقع الناس على الثقلين وصح وثبت لم يكن مناسباً لفصاحة القرآن وبعده الصنيع وأجود منه أن يراد بالناس الناسي

لقوله هَؤُمَ يَدْعُ الدَّاعُ^(١). وكما قرئ من حيث أفاض الناس^(٢).

ثم يبين عن الجنة والناس لأن الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله تعالى يعني اجتراء بالكسرة عن الياء والمراد اسم الفاعل.

الخامس - أنه بيان للذي يوسوس على أن الشيطان ضربان جني وإنسي كما قال تعالى :

﴿شَیَاطِینَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾^(٣).

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال لرجل هل استعذت من شياطين الإنس .
السادس - أن يتعلق بـيوسوس ومن لا ابتداء الغاية أي يوسوس في صدورهم من جهة الجن والإنس .

السابع - أن والناس عطف على الوسواس أي من شر الوسواس والناس ولا يجوز عطفه على الجنة لأن الناس لا يوسوسون في صدور الناس إنما يوسوس الجن فلما استحال المعنى حمل على العطف على الوسواس ، قاله مكّي وفيه بعد كبير وقد تقدم أن الناس يوسوسون أيضاً بمعنى يليق بهم .

الثامن - أن من الجنة حال من الناس أي كائنين من القبيلين . قاله أبو البقاء ولم يبين أن الناس المتقدم أنه صاحب الحال وعلى كل تقدير فلا يصح معنى الحالية في شيء منها كالأول ولا ما بعده ثم قال قيل وهو معطوف على الجنة يريد والناس الأخير معطوف على الجنة وهذا الكلام يستدعي تقدير شيء قبله وهو أن يكون الناس عطفاً على غير الجنة وبالجملة فهو كلام يتسامح فيه انتهى .

فهذه ثمانية وجوه في محل من الجنة والناس زاد في المعجائب والغرائب للكرماني

(١) سورة القصص الآية : ٦ . (٢) سورة البقرة الآية : ١٩٩ .

(٣) سورة الأنعام الآية : ١١٢ .

قولاً بأن من الجنة والناس يجوز أن يكون متصلاً بالناس الأول في قوله: **يَرْبِّ النَّاسِ** ^(١) . وقولاً بأن الذي مبتدأ خبره من الجنة والناس أي الذي يوسوس يكون من الجنة ويكون من الناس فهذه عشرة أقوال واختار السفاقي كونها تبعية أي كائناً من الجنة والناس فهو في موضع الحال أي ذلك الوسوس بعض الجنة وبعض الناس انتهى . فقد علم مما نقلنا هنا ما محل من الجنة والناس كما لا يخفى على ممارس الإعراب والله أعلم .

المسئلة الرابعة والعشرون : ما الأولى أن يتعلق من الجنة والناس بالذي يوسوس أو بالناس في قوله في صدور الناس ، قال أبو السعود من الجنة والناس بيان للذي يوسوس على أنه ضربان جنى وانسي كما قال عز وجل :

﴿ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾ ^(٢) . أو متعلقة بـ يوسوس أي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الإنس وقد جوز أن يكون بيانا للناس على أنه يطلق على الجن أيضاً حسب إطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه وأقرب منه أن يراد بالناس الناسي ويجعل سقوط الياء كسقوطها في قوله تعالى : **يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ** ^(٣) .

ثم يبين بالجنة والناس فإن كل فرد من أفراد الفريقين مبتلى بنسيان حق الله تعالى انتهى . فالقول الأول هو الراجح واختاره الزمخشري تبعاً للزجاج ، وقال الشوكاني في فتح القدير والقول الأول أرجح هذه الأقوال وإن كان وسوسة الناس في صدور الناس لا تكون إلا بالمعنى الذي قدمناه .

المسئلة الخامسة والعشرون . من الجنة والناس هل هو ظرف مستقر أو لغو قال السيد الشريف الجرجاني الظرف اللغو ما كان العامل فيه مذكوراً نحو زيد

(١) سورة الناس الآية : ١ . (٢) سورة الانعام الآية : ١١٢ .

(٣) سورة القمر الآية : ٦ .

حصل في الدار والظرف المستقر هو ما كان العامل مقدراً نحو زيد في الدار انتهى .
وقال السيد الشريف في حواشي الكشاف وفسروا المستقر بما عامله محذوف
عام وسمي مستقراً لأنه استقر فيه معنى عامله وفهم منه انتهى .

وضبطه السيد العنقاوي في شرح العمرية بفتح القاف فقد علمت إنما كان
من هذه الظروف متعلقاً بذكر فهو ظرف لغو وما كان متعلقاً بمحذوف فظرف
مستقر وعليه فحيث قدرنا من الجنة والناس حالاً أو وصفاً أو بياناً أو خبراً فهو
ظرف مستقر لأن متعلقه كون عام محذوف وحيث قدرناه متعلقاً بـيوسوس أو
بالناس ومن ابتدائية فحله نصب على المفعولية فهو ظرف لغو والله أعلم .

المسئلة السادسة والعشرون : الإسناد في يوسوس حقيقة عقلية أو مجاز عقلي :
هو حقيقة عقلية على أي من جعل من الجنة والناس بياناً للناس وجعلوا الموسوس
بكسر الواو وهو الشيطان والموسوس له بفتح الواو الجن والإنس ، وذلك لأن
إسناد الموسوسة إلى الشيطان إسناد الفعل إلى ما هو له عند المتكلم ، فهو حقيقة
عقلية وسمياني بيان معنى الموسوسة لغة وشرعاً . وأما على رأي من جعل من
الجنة والناس بياناً للموسوس أو الذي يوسوس وعد الموسوس بكسر الواو قسمين
شيطان الإنس وشيطان الجن لقوله تعالى :

﴿ شَاطِئِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ

مَغْرُورًا ۝ ﴾ (١)

فيكون في يوسوس إسنادان في طبي إسناد أحدهما : حقيقي وهو إسناده إلى
الجن والآخر مجاز عقلي وهو إسناده إلى الإنس ، وإلى هذا أشار الجلال الحلي في
تفسيره بقوله واعترض الأول من الوجهين الذي ذكرهما في بيان من الجنة والناس

بأن الناس لا يوسوسون في صدور الناس ، إنما يوسوس في صدورهم الجن وأجيب
بأن الناس يوسوسون أيضاً بمعنى يليق بهم في الظاهر ثم تصل وسوستهم إلى القلب
وتثبت فيه بالطريق المؤدي إلى ذلك انتهى . أي كالنميمة يسمعها الشخص فيتلقاها
السمع فيؤديها إلى القلب فتحدث فيه شيئاً فاطلق على ذلك وسوسة باعتبار التسبب
فيها فهو مجاز عقلي فإسناده إلى الإنس مجازي للملاسة الفعل بالسببية ، وح^(١) ، فهو
إما من باب حمل اللفظ على حقيقته ومجازه عند من يراه أو من باب التغليب أو
من باب عموم المجاز وهو أولى والله أعلم . ويأتي مثل هذا في إسناد الخناس ويكون
خنس الإنس بمعنى يليق بهم .

المسئلة السابعة والعشرون : ما النكتة في ختم سور القرآن بهذه السورة
الظاهر والله أعلم ، الإشارة إلى حفظ الكتاب العزيز من شرور الشياطين الجنية
والانسية فلا يتطرق إليه تحريف ولا إلقاء ويكون فيه قطع لأطباعهم من ذلك
بالكلية من حيث أنه سبحانه قال :

« وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ »^(٢) .

وقال « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى
الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُخَكِّمُ اللَّهُ آيَاتِهِ »^(٣) .

والأمنية التلاوة فاحكم الله آياته وأخبرنا بأنه تكفل بحفظ كتابه :

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »^(٤) .

وقد يكون فيه إشارة إلى الاستعاذة بالله من الوسوسة الشيطانية والانسية
العارضة لمن يتلو كتابه لقوله تعالى :

(١) قوله وح : أي وحينئذ ومثله قولهم فح : أي فحينئذ وهـ : أي اصطلاح للمتقدمين وله
مراجع خاصة .

(٢) سورة الحج الآية : ٥٢ .

(٣) سورة الانعام الآية : ١١٢ .

(٤) سورة الحجر الآية : ٩ .

« فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ »^(١).

ذهب بعض العلماء إلى الاستعاذة عقب التلاوة حملاً للفظ على حقيقته ومن ثم نذب الشارع إلى قراءة المعوذتين عقب الصلاة وهي محتوية على قراءة وذكر لما أن المعوذتين تحصن من الشيطان أن يلقي في قلب العبد عجباً ، أو رياءً يحبط به عمله وقد أرشد الشارع إلى قراءة المعوذتين عند الصباح والمساء ثلاثاً وأخبر أنها تكفي قاريها في هذين الوقتين من كل شيء فيجعلها في خواتم الأمور ومبادئها هذا ما فتح الله به علي في ذلك ، ولا أقول أنه مراد الله . وقد رأيت في حواشي الكشاف للسيد الشريف على قول الزمخشري وجعله مفتتحاً بالتحميد ؛ أي جعله مفتتحاً بالسورة المشتملة على التحميد ولذلك سميت السورة فاتحة الكتاب وجعله مختتماً بالسورة المشتملة على الاستعاذة فكانت ، خاتمة الكتاب قياساً على فاتحته وفي الافتتاح بالتحميد تنبيه للتالي على أن يحمد الله تعالى على نعمة التوفيق واستجلاباً للمزيد ، واستدامة للتقيد ، وفي الاختتام بالاستعاذة حث لمن ختم القرآن على أن يستعين بربه من وسوسة الشيطان ونفخه وإشارة لطيفة إلى أن العود إلى باريه أحمد أي ولهذا قال ﷺ حين سئل أي الأعمال أحب إلى الله قال : « الحال المرتحل » قيل ما الحال المرتحل قال : « صاحب القرآن يضرب من أول القرآن إلى آخره كل ما حل ارتحل » انتهى .

وفي تفسير النيسابوري إشارة إلى أن نكتة ختم القرآن بسورة الناس ما فيها من تعريف ذاته بكونه رب الناس ملك الناس إله الناس ، وفيه أيضاً ما لفظه قوله إله الناس إشارة إلى سائر مراتبها من العقل بالفعل والعقل المستفاد فإن الإنسان إذ ذاك كأنه صار عالماً معقولاً مضاهياً لما عليه الوجود فعرف المعبود وتوجه إلى عرفانه ، والعبادة له فاتصف بصفاته وتخلق باخلاقه ، ثم أنب العقل والوهم قد

يتساعدان على تسليم بعض المقدمات ، ثم اذا آل الأمر الى النتيجة ساعد العقل عليها دون الوهم فكان الوهم خنس أي رجع عن تسليم المقدمات فلهذا أمر الله سبحانه بالاستعاذة من شره ، وقد ورد مثله في الحديث . روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« يَا بَنِي آدَمَ كُلُّكُمْ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ كَذَا مَنْ خَلَقَ كَذَا حَتَّى يَقُولَ مَنْ خَلَقَ رَبُّكَ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِهِ . »

وهذا آخر درجات النفس الكاملة الانسانية ، فلا جرم وقع ختم القرآن العظيم عليه انتهى .

وفي حاشية الشهاب الحفاجي علي البيضاوي ما افظه ، ثم أنه قيل أن حروف هذه السورة غير المكرر اثنان وعشرون حرفاً ، وكذا حروف الفاتحة بعد السنين التي نزل فيها القرآن ، وهو سر بديع كما قيل أن أول الحروف منه باو آخرها السين فكانه قيل بس لانه كاف عن كل ما سواه اشارة الى قوله تعالى :

﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(١) .

ومثله من الرموز كثير لا ينبغي أن يقال أنه مراد الله تعالى .

المسئلة الثامنة والعشرون . ما حقيقة الوسوسة لغة وشرعاً : حقيقة الوسوسة لغة حديث النفس والصوت الخفي ، ففي المختار الوسوسة حديث النفس ، ويقال لصوت الحلي وسواس انتهى .

وقال ابن السمين الوسوسة الكلام الخفي المكرر ، ومثله الوسواس وهو صوت الحلي والوسوسة أيضاً الخطرة الردية . وقال الليث الوسوسة حديث النفس والصوت الخفي كالهمس انتهى .

وحقيقتها شرعاً القاء الشيطان الأمر في القلب من غير صوت ، ذكره ابن العماد في كشف الأسرار . وقال القرطبي وسوسته هي الدعاء إلى طاعته بكلام خفي حتى يصل مفهومه الى القلب من غير سماع صوته انتهى .

وقد ورد في كيفية وسوسة الشيطان أخبار وآثار وحكايات فعن ابن عباس رضي الله عنهما « يضع الشيطان فاه على قلب ابن آدم فإذا سهى وغفل وسوس ، وإذا ذكر الله خنس » أخرجه جعفر بن أحمد بن فارس ، وأخرجه سعيد بن منصور من وجه آخر عن ابن عباس ولفظه يولد الانسان والشيطان جائم على قلبه فإذا عقل وذكر اسم الله خنس وإذا غفل وسوس ، وأخرج ابن أبي الدنيا وأبو يعلى عن أنس رضي الله عنه « ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم ، فإن ذكر الله خنس وان نسي الله التقم قلبه » ، وورد أن عيسى عليه السلام سأل ربه أت يريه موضع الشيطان من ابن آدم فاراه ، فإذا رأسه مثل رأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب فإذا ذكر العبد ربه خنس ، وإذا ترك مناه وحدثه . وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل خرطوم كخرطوم الخنزير في صدر الانسان ، فإذا ذكر العبد ربه خنس ، وفي القرطبي عن شهر بن حوشب عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال سألت الله أن يريني الشيطان ومكانه من ابن آدم فرأيت يده في يديه ورجلاه في رجليه ومشاعبه في جسده غير أن له خرطوماً كخرطوم الكلب فإذا ذكر الله تعالى خنس ونكس ، وإذا سكنت عن ذكر الله أخذ بقلبه . قال الخطيب فعلى هذا هو متشعب في جميع الجسد أى في كل عضو منه شعبة ، وذكر عن الحسن البصري أن بعضهم سأل الله عز وجل أن يريه الشيطان كيف يوسوس لابن آدم فاراه الإنسان في صورة بلور حتى يصف جميع أعضائه وصار الشيطان في صورة الذباب فادخل خرطومه في مرفقه الأيسر حتى وصل إلى قلبه وصار يوسوس ، ورآه بعضهم في صورة ضفدع هذا والحكايات في ذلك كثيرة ولا تعارض فيها فإن الله سبحانه يكشف لكل عبد عن

كيفية الشيطان بصورة متجسدة لتشكله في ما شاء من الصور بإذن الله تعالى .

المسئلة التاسعة والعشرون : ما علامة وسواس الإنس ، وما علامة وسواس

الجن ، هذا السؤال يحتمل وجهين :

الأول - السؤال عن الفرق بين وسواس شياطين الجن في القلوب وبين وسواس

شياطين الإنس لبعضهم بعضاً .

والثاني - الفرق بين وسوسة الشيطان في القلب وبين وسوسة قلب الإنس

نفسه ، فاما الأول . فالجواب عنه أن وسوسة الجن لقاء التزين ، وحب الشهوات

ووعد الفقر والأمر بالفحشاء وكلما يؤدي إلى شر حالاً أو مآلاً في قلب الإنسان

ويكون التسلط المذكور على باطن الإنسان ولا يشاهد العبد الشيطان وعلامته

العظمى أنه إذا ذكر الله خنس وإذا غفل عن ذكره وسوس كما قال تعالى :

﴿ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ ^(١) : الآية .

وأما وسوسة الإنس فبالاحتياال إلى إضلال الإنس مثلهم بالغبسة والنميمة

والمحارشة ؛ وقد يأتي به على وجه النصيحة تدليساً وإيهاماً ، وعلامته العظمى أنه

لا يخنس بذكر الله تعالى ، بل بالصد والاعراض . قال مالك بن دينار إن شيطان

الإنس أشد عليّ من شيطان الجن ، وذلك أني إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان

الجن وشيطان الإنس يحثني ويجريني إلى المعصية عياناً . قال العارف الشعراني نقلاً

عن العارف ابن عربي إن شياطين الجن ليس لهم سلطان إلا على باطن الإنسان

بخلاف شياطين الإنس لهم سلطان على ظاهر الإنسان وباطنه وإن وقع من شيطان

الجن وسوسة واغواء للناس في ظاهريهم ، فإنما ذلك بحكم النيابة لشياطين الإنس فإنهم

هم الذين يدخلون الآراء على شياطين الجن . وقال أيضاً من رحمة الله بنا أنه لما كان

هذا العدو محبوباً عن إدراك أبصارنا ، جعل الله تعالى علامات لنا في القلب من طريق الشرع نعرفه بها تقوم لنا مقام البصر الظاهر ، لنتحفظ بتلك العلامة من العمل بالقائه وأعاننا الله عليه بالملك الذي جعله مقابلاً له غيباً لغيب انتهى .

وقال أيضاً لنا شيطان لا هو إنسي ولا جني وذلك في صورة واحدة إذا اجتمعت شياطين الإنس والجن وأوحى بعضهم الى بعض فإنه يحدث بينهما شيطان آخر عند وسوستهم ، معنوي والفرق بين الثلاثة أن الشيطان الانسي والجني يفتح أحدهما باب للإلقاء في قلب العبد بما يبعد عن الله لا غير ، وأما الشيطان المعنوي فيستنبط من ذلك شياً وأموراً لم يقصدها إبليس ولا غيره ، ومثل هذا نسب الى الشيطان بحكم الأصالة لأنه الذي فتح باب الوسوسة ، وليس غرض الشيطان من الخلق إلا أن يجهلوه في الخواطر ويصدقونها ، وإذا رأى الشيطان من عبد أنه محفوظ ووجد التأييد به محيط ولم يستطع الوصول اليه بالوسوسة ، تجسد له في صورة انسان مثله فيتخيل العبد أنه انسان حقيقي ، فيأتيه بالاغواء من قبل أذنه فيدخل له فيما حجة الله عليه التأويلات الكثيرة ليووقعه في معاصي الله أدناه أن يقول له مثلك لا يؤاخذك الله لكونه كشف لك أنه الفاعل وأنه المقدر فإن رد ذلك دخل عليه من باب حسن الظن ، وقال أحسن ظنك بالله أنه لا يؤاخذك وأنت عبده على كل حال في حال طاعتك ، وفي حال معصيتك وذلك لأن إبليس يعلم أن المؤمن لا يقدم على معصية الله ابتداءً دون تأويل وتزوين لذلك الفعل ولو أن المؤمن كان يقدم على معصية الله بغير وسوسة إبليس ما أوجده الله انتهى .

وأما الثاني فالجواب عنه ما ذكره أبو زرعة العراقي وشرح الزبد أن الفرق بين خاطر الشيطان ووسواس النفس أن خاطر النفس لا ترجع عنه أي لأنه بحكم الشهوة وداعية الطبيعة وخاطر الشيطان قد ينقله إلى غيره إن صمم الإنسان على عدم فعله لأن قصده الإغواء لا خصوص معصية معينة انتهى .

وقال في منهاج العابدين اعلم أن للشيطان وساوس بمنزلة السهام التي يرمى بها وذلك انما يتبين بمعرفة الخواطر ، وأقسامها وهي في أربعة أقسام :

ما يحدثه في القلب ابتداء فيقال له الخاطر فقط .

وقسم يحدثه موافقاً لطبع الانسان ، فيقال له هوى النفس وينسب إليها .

وقسم يحدث عقيب دعوة الشيطان فينسب اليه ، فيقال له الوسوسة وينسب

اليه بأنه خاطر من الشيطان وان أردت أن تفرق بين خاطر يكون من هوى النفس أو من الله ابتداء فانظر فيه من ثلاثة أوجه :

أحدها - إن رأيت مصمماً ثابتاً ، فهو من الله أو من هوى النفس وإن وجدته مضطرباً متردداً فهو من الشيطان وكان بعض العازفين يقول مثل هوى النفس مثل النمر اذا حارب لا ينصرف الا بقمع بالغ وقهر ظاهر ، ومثل الشيطان مثل الذئب اذا طردته من جانب دخل من جانب .

الثاني - ان وجدته عقيب ذنب أحدثته ، فهو من الله اهانة وعقوبة لشؤم ذلك الذنب ، وان كان هذا الخاطر مبتدأ لا عقيب ذنب فاعلم أنه من الشيطان .

والثالث - ان وجدته لا يضعف بذكر الله ولا يزول ، فهو من الهوى وان وجدته يضعف ويقل بذكر الله فهو من الشيطان ، ودليل ذلك الآية والحديث انتهى . وقال في منهاج العابدين أيضاً ان أردت أن تفرق بين خاطر خير يكون من الله تعالى ومن الملك فانظر في ذلك من ثلاثة أوجه :

أحدها - أن تنظر فان كان قوياً مصمماً ، فهو من الله تعالى وان كان متردداً فهو من الملك اذ هو بمنزلة ناصح يدخل معك من كل جانب ووجه ويعرض عليك كل نصح رجاء رغبتك في الخير .

والثاني - منها ان كان عقب اجتهاد وطاعة فهو من الله سبحانه قال الله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ جَاءَهُدُوا فَيُنَازِعُنَا عَنْ دِينِهِمْ سَبَأًا﴾ ^(١)

وإن كان مبتدأ فهو من الملك في الأغلب .

والثالث - إن كان في الأصول والأعمال الباطنة فهو من الله ، وإن كان في القروع والأعمال الظاهرة ، فهو من الملك في الأكثر إذ لا سبيل له الى معرفة باطن العبد في قول أكثرهم . وأما خاطر الخير الذي يكون من قبل الشيطان استدراجاً الى شريك يؤويه . قال شيخنا ان وجدت نفسك في ذلك الفعل الذي خطر لك مع نشاط لا مع خشية ومع عجلة لا مع تأن ومع أمن لا مع خوف ومع عمية العاقبة لا مع عمية البصيرة . فاعلم أنه من الشيطان فاجتنبه وان وجدت نفسك في ذلك الفعل على ضد ذلك مع خشية الله لا مع نشاط ومع تأن ، لا مع عجلة ومع خوف لا مع أمن فاعلم أنه من الله تعالى أو من الملك انتهى .

المسئلة الثلاثون : كم أقسام الوسواس ؟ الجواب والله أعلم أنها خمسة أقسام :

قال أبو زرعة العراقي ما يقع في النفس من المعصية له مراتب :

الأولى - الهاجس وهو ما يلقي فيها ولا يؤاخذ فيه .

الثانية - الخاطر وهو جريان فيها وهو مرفوع أيضاً .

الثالثة - حديث النفس وهو ترده أن يفعل ذلك أم لا وهو مرفوع أيضاً .

الرابعة - الهم وهو قصد الفعل وهو مرفوع أيضاً .

الخامسة - العزم وهو قوة القصد والجزم به والحكي عن المحققين الأخذ به

لقوله ﷺ « إنه كان حريصاً على قتل صاحبه » انتهى .

وقال ابن العباد ، وقد يكون المعنى الواصل الى القلب من جهة الشيطان

فاول ما يحدث في القلب غفلة فإن أنقذه الله منه وإلا صارت خطرة فان ردها الله

وإلا صارت فكرة فإن صرفها الله والا صارت طبعاً وريناً انتهى .

هذا وأما كلام الصوفية في ذلك ، فقد سمعت ما جلوناه على مسامعك عن منهاج العابدين وفي الإحياء للغزالي أن الوسواس ثلاثة أصناف :

الأول - أن يكون من جهة التلبيس للحق فإن الشيطان قد يلبس الحق فيقول للإنسان لا تترك التمتع باللذات ، فاب العمر طويل ، وهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين بنور الايمان والمعرفة .

الصنف الثاني - أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وتهيجها ، وهذا ينقسم إلى ما يعلمه العبد يقيناً أنه معصية وإلى ما يظنه بغالب الظن .

الصنف الثالث - أن تكون وسوسته بمجرد الخواطر وتذكر الأحوال العامة والتفكير في الصلاة انتهى ، وتتمته تطلب من الإحياء .

وقال العارف الشعرائي : ينقسم الخاطر الشيطاني إلى قسمين حسي ومعنوي . والحسي إلى قسمين لأن الشياطين قسمان ، شيطان إنسي وشيطان جنّي وحدث بين هذين الشيطانين في الانسان شيطان آخر معنوي ؛ وذلك أن شيطان الانس أو الجن إذا ألقى في قلب الانسان أمراً ما يبعده عن الله فقد يلقي أمراً خاصاً أو خصوص مسألة بعينها ، وقد يلقي أمراً عاماً ويتركه فإن كان أمراً عاماً فتح له في ذلك طريقاً إلى أمور لا يتفطن لها الجنّي ولا الانسي يتفقه فيها ويستنبط من تلك الشبه أموراً إذا تكلم علم ابليس الغواية منها فتلك الوجوه التي تنفتح له في ذلك الأسلوب العام الذي ألقاه إليه أولاً شيطان الانس أو شيطان الجن تسمى الشياطين المعنوية انتهى .

هذا ودقائق وسواس الشيطان لا تنحصر في فرقة وتلك الأقسام أصول .

قال العارف الشعرائي ، ومن دسايسه التي تخفى أن يجد الانسان في طاعة فيوسوس له بفعل غيرها لينقله منها ويفسخ عزمه ، ونيته الأولى مع الله تعالى . ثم

إن خالفه العبد في ذلك حسن له فعلاً آخر ، وقال له أن ذلك الفعل أفضل مما أنت فيه ، ومن دسايسه أيضاً أنه يأتي العبد بالكشف الصحيح والعلم التام ويقنع منه أن يجهل من أتاه به ، ومن دسايسه أنه يأتي العبد بنور يكشف به معاصي العباد ويهتك به أستارهم ويظهر به عوراتهم فيظن ذلك المكاشف أنه على درجة عظيمة وإنما ذلك لأن الشيطان صار سمعه وبصره فيجب على ذلك المكاشف المبادرة إلى التوبة وإلا هلك ، ومن دسايسه التي تخفى غالباً على غالب الأولياء أنه ينظر الى قلب الولي ، فإن رآه يستمد من العماثل له عما أتاه منه وكلمه منه أو عرشاً ، فكذلك أو كرسيًا فكذلك أو سماء فكذلك فإن كان سبق في علم الله حفظ هذا العبد منه أطلعه الله على أن ذلك مفتعل وتلبس عليه من الشيطان ، فيرد خاسئاً وإن لم يحفظ الله العبد هلك في الهالكين انتهى .

المسئلة الحادية والثلاثون : ما أسبابه : أسباب الوسواس الغفلة والسهو والهوى وقد أشار إلى ذلك المفسرون كالجلال الحلي ، حيث قال الذي يوسوس في صدور الناس إذا غفلوا فافاد أن الغفلة يتسبب عنها الوسوسة . أخرج ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه : « أن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنس وإن نسي الله التقم قلبه » انتهى .

والقرآن العظيم دل على ذلك قال تعالى :

﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (١) .

قال المفسرون فهو له قرين يوسوس له ويغويه . قال الغزالي مهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان محلاً فوسوس . ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله ارتحل الشيطان وضاق مجاله ، ومبدأ استيلائه اتباع الهوى ولا يمكن فتحه بعد ذلك إلا بتخليته عن قوت الشيطان ، وهو الهوى والشهوات

وعمارته بذكر الله تعالى انتهى . وقال الغزالي أيضاً قوت الشيطان الشهوات فمن كان قلبه خالياً عنها انزجر عنه الشيطان بمجرد ذكر الله تعالى انتهى .

المسئلة الثانية والثلاثون : ما موانعه : موانع الوسواس جميع أنواع الذكر والتحصن بالله وبجميع أسمائه وصفاته وهو أعظمها سلاحاً منه ، فقد أمر الله سبحانه بالاستعاذة به من شره . قال الحكيم الترمذي قد أعطي الشيطان وجنده السبيل الى فتنة الآدمي وتزيين ما في الأرض له طمعاً في غوايته فهو يهيج النفوس الى تلك الزينة تهيجاً يزعزع أركان البدن ويستفز القلب حتى يزعجه عن مقره فلا يعتصم الآدمي بشيء أوثق ولا أحسن من الذكر ، لأنه اذا هاج الذكر من القلب هاجت الأنوار فاشتعل الصدر بنار الأنوار وهيج العدو نار الشهوات فاذا رأى العدو هيجان الذكر من القلب ولى هارباً وخمدت نار الشهوات وامتلاء الصدر نوراً فبطل كيده انتهى . وقال الطيبي وسوسة الشيطان تجري في الانسان حيث يجري فيه الدم من عروقه والشيطان انما يستحوذ على النفس وينفث وسواسه في قلوب العباد بواسطة الأماراة بالسوء ومركبها الدم ومنشأ قواها منه . فعلاجه بسد المجاري بالجوع والصوم لأنه يجمع الهوى والشهوات التي هي أسلحة الشيطان انتهى .

وقال الخطيب الشربيني : لما كان الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له دواء غير السام وهو الموت وكان قد جعل دواء الوسوسة ذكره تعالى فإنه يطرد الشيطان وينور القلب ويصفيه ولهذا وصف الحق سبحانه الوسواس بقوله الخناس أي الذي عادته أن يخنس أي يتوارى ويتأخر ويختفي من بعد ظهوره مرة بعد أخرى كلما كان الذكر خنس وكما بطل عاد إلى وسواسه فالذكر له كالتقامع التي تقمع المفسد فهو شديد النفور منه ولهذا كان شيطان المؤمن هزيراً كما ورد الحديث انتهى .

وقال الغزالي رحمه الله تعالى : قوت الشيطان الشهوات ؛ فمن كان قلبه خالياً عنها انزجر عنه بمجرد ذكر الله تعالى كما لو وقف عليك كلب جائع وليس عندك

ما ياكل فبمجرد أخنس اندفع ، فإن كان عندك ذلك هجم ولم يندفع بمجرد الكلام فالشهوات إذا غلبت على القلب دفع حقيقة الذكر إلى حواشي القلب ولم يتمكن من سويدها فيستقر الشيطان فيه والقلوب الخالية من الهوى والشهوات يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فإذا عاد إلى الذكر والصلاة انطرد الشيطان وإن كنت تقول الحديث ورد مطلقاً بأن الذكر والصلاة يطرد الشيطان ولم تفهم أن أكثر عموماً الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علماء الدين ، فانظر لنفسك فليس الخبر كالمعاينة وتأمل أين منتهى ذكرك وصلاتك فراقب قلبك وانظر كيف يجاذبك الشيطان إلى الأسواق وحساب المعاملين وكيف يربك في أودية الدنيا ومهاالكها ، حتى أنك لا تتذكر ما نسيت من فضول الدنيا إلا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلا فيها والصلاة محك القلوب كما أن الله تعالى قال : ﴿ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ .

وأنت تدعو ولا يستجاب لك فكذا تذكر الله ولا يهرب الشيطان عنك لفقد شروط الذكر والدعاء انتهى . وقال المناوي في فيض القدير على حديث « إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة ذهب حتى يكون بالروحاء » ما لفظه قصد الشارع بهذا الحديث الإرشاد إلى طريق محاربة الشيطان فإن الإنسان بصدد عبادة الحق ، ودعوة الخلق إليه بفعله وقوله والشيطان أبداً بصدد أن يناقضك ويكايدك أن تنتصب لمحاربتة وقهره . فمن أعظم ما يقهره ويبعده ويزجره الأذان وملازمة الذكر انتهى .

وقال على حديث مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه « إن الشيطان يأتي أحداً فيقول من خلق السماء فيقول الله ، فيقول من خلق الأرض ، فيقول الله ، فيقول من خلق الله ؛ فإذا وجد أحداً من ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله » ما نصه فإذا

التجأ الإنسان الى الله في دفعه اندفع بخلاف ما لو اعترض انسان بذلك فإنه يمكن دفعه بالبرهان . والفرق أن الآدمي يقع منه سؤال وجواب والحال معه محصور بخلاف الشيطان كلما ألزم حجة زاغ لغيرها . قال الغزالي من مكاييد الشيطان حمل العوام ، ومن لم يمارس العلم ولم يتبحر فيه أغراه على التفكير في ذات الله وصفاته في أمور لا يبلغها حد عقله حتى يشككه في أمر الدين أو يخيل اليه في الله خيال تعالى الله عنه فيصير به كافراً أو مبتدعاً ؛ وهو به فرح مسرور ومبتهج بما وقع في صدره ويظن أن ذلك هو المعرفة والبصيرة والنبي ﷺ لم يجعل علاج هذا الوسواس بالبحث فان هذا وسواس يحده العوام دون العلماء وإنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويستغلوا بعبادتهم ومعاشهم ويتركوا العلم للعلماء ومكاييد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب أكثر من أن تحصى انتهى .

قلت : وقد ورد في بعض الأحاديث بعد قوله ﷺ : « فليقل آمنت بالله ورسوله » زيادة أخرجها النسائي وأبو داود ولفظها « فليقرأ قل هو الله أحد الخ » ثم ليستعد . وفي رواية للبخاري « فليستعذ بالله ولينته . قال العزيزي أي عن الاسترسال معه في ذلك ؛ ويلجأ الى الله ويعلم أنه انما يريد افساد دينه وعقله بهذه الوسوسة انتهى .

وقال المناوي : على حديث « عليكم بالجماعة والعمامة والمسجد » أي لزومه فانه مجمع الأخيار وموطن الأبرار وأحب البقاع الى الله تعالى ومنه يفر الشيطان فيغدو الى السوق وينصب كرسيه وسطه ؛ ويبت جنوده ؛ فمن بين مطفف في كيل وطايش في وزن ومنفق سلعته يمين مفتراة ويقلبهم الى المكاسب الردية . واضاعة الصلوة ومنع الحقوق ؛ فلا يزال ذلك دأب الشيطان مع أهل الغفلة من دخول أولهم الى خروج آخرهم والدواء النافع من ذلك لداخله تقوى الله تعالى ولزوم الذكر المشهور المندوب لداخل السوق الذي يكتب لقايله فيه ألف ألف حسنة ويحط

عنه ألف ألف خطيئة ويرفع له ألف ألف درجة انتهى .

والذكر المشهور هو ما رواه الترمذي وابن ماجه وابن أبي الدنيا والحاكم وصححه عن عمر رضي الله عنه رفعه « من دخل السوق فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » الحديث انتهى .

وذكر في إحياء علوم الدين أن للشيطان مداخل يدخل فيها إلى القلب منها : العجب والرياء والحسد والهوى والشهوة والغفلة وساق المهلكات ، ثم قال والعلاج في دفع الشيطان سد مداخله ، وتطهير القلب منها . وقال في منهاج العابدين ، فإن قلت بأي شيء أحارب الشيطان وبأي شيء أقهره وأدفعه ، فأعلم أن لأهل هذه الصناعة في هذه المسئلة طريقين :

أحدهما ما قال بعضهم أن التدبير في دفع الشيطان الاستعاذة بالله لا غير فإن الشيطان كلب سلطه الله عليك : فإن اشتغلت بمحاربته ومعالجته تعبت وضاع عليك وقتك ، وربما يظفر بك فيعقرك أو يجرحك ، فالرجوع إلى رب الكلب ليصرفه عنك أولى .

الثاني - ما قال آخرون أن الطريق المجاهدة والقيام عليه بالدفع والرد والمخالفة والذي عندي أن الطريق العدل الجامع في أمره أن يجمع بين الطريقين فيستعين بالله ، ثم إن رأيته يتقلب فاعلم أنه ابتلاء منه سبحانه ليرى مجاهدتنا وصبرنا كما أنه سلط علينا الكفار مع قدرته على كفاية شرهم ؛ ومحاربته في ثلاثة أشياء تعرف مكايده وحيله . والثاني الاستخفاف بدعوته . والثالث إدامة ذكر الله تعالى انتهى .

وفي فيض القدير على الحديث الذي أخرجه ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان والطبراني والبيهقي ؛ عن سمرة بن جندب رضي الله عنه « إن للشيطان كحلاً ولعوقاً فإذا كحل الإنسان من كحله نامت عيناه عن الذكر وإذا لعقه من لعوقه ضرب لسانه بالشر » ما لفظه ؛ وينشأ عن ذلك الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير

والجانة والعبث والملق والتهور والصلف والاستشاعة والمكر والخديعة والدهاء والحيلة والتلبيس والغش وأمثالها فإن قهره الانسان بقوة العلم والبصيرة ورد نفسه الى الاعتدال وألزمها صفات الكمال عادت الى صفة الصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والشهامة والوقار وغيرها ؛ وفي الحديث إشعار بان لزوم الذكر يطرد الشيطان ويجلو مرآة القلب وينور البصيرة :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾^(١).

فاخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر ؛ وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى انتهى .

قلت : ويؤيده ما في الحديث أنه ﷺ اختصم عنده رجلان فانتفخت أوداج أحدهما وغضب فقال ﷺ : « إني لأعلم له دواء لو قاله لذهب عنه هذا لو قال أعوذ بالله من الشيطان لذهب عنه هذا » . الحديث أو بمعناه ؛ ففيه إرشاد إلى أن الإستعاذة دواء من الصفات الذميمة . وفي فيض القدير أيضاً على حديث « إن للوضوء شيطاناً يقال له الوهان » . ما نصه تنبيه ظاهر الخبر أن لكل نوع من المخالفات والوسواس شيطاناً يخصه ويدعو اليه . قال الغزالي واختلاف المسببات تدل على اختلاف الأسباب .

قال مجاهد لإبليس خمسة أولاد لكل واحد منهم على شيء ، وهم ثبر والأعور وسوط وداسم وزلنبور فثبر صاحب المصايب الذي يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الحدود ودعوى الجاهلية والأعور صاحب الزنا يأمره ويزينه لهم ، وسوط صاحب الكذب وداسم يدخل مع الرجل على أهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم وزلنبور صاحب السوق .

وشيطان الصلاة يقال له خنزب والوضوء يقال له الوهان ، وكما أن الملائكة فيهم كثرة ففي الشياطين كثرة : تتمم الوسوسة من آفات الطهارة ؛ وأصلها جهل بالسنة أو خبال في العقل ومتبوعها متكبر مذل لنفسه سيء الظن بعباد الله معتمد على عمله معجب به وعلاجها بالتلهي عنها والاكتثار من سبحان الملك الخلاق :

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِيَ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾^(١)

كذا في النصايح ؛ قال الحكيم : فاما القلوب التي ولجها عظمة الله وجلاله فهابت واستقرت ، فقد انتفى عنهم وسواس عدوهم .

قال ومن هنا أنب رسول الله ﷺ الوسوسة فقال هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بني إسرائيل حتى شهدت أبدانهم وغابت قلوبهم ؛ ثم روى حديثاً أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ : فقال إني أدخل في صلاة فلم أدرأ على شفع أم علي وتر من وسوسة أجدها في صدري . فقال رسول الله ﷺ : « إن وجدت ذلك فاطعن أصبعك هذه يعني السبابة في فخذك اليسرى وقل بسم الله فإنها سكين الشيطان أو مديته » انتهى .

فكل هذه الأقوال التي أوردناها مرشدة إلى أن مطردة الشيطان وموانعه ، ذكر الله تعالى وطهارة القلب والمجاهدة والاستعاذة بالله منه ومن ذكر الله تعالى الأذان كما ورد به الحديث الصحيح ، وآية الكرسي فإنه لن يزال على قاريها حافظ من الله تعالى ولا يقربه شيطان ولما نزلت طردت شياطين المدينة إلى الشام وخواتيم سورة البقرة لوصف النبي ﷺ لها بالكافية وجميع ذكر الله تعالى ؛ لكن بالشرط المار الذي ذكر الإمام الغزالي فإن مطلق الذكر من القلب الغافل لا يجدي واستشكل فرار الشيطان من الأذان دون الصلاة مع أن فيها أذكراً كثيرة وأجاب المناوي بأنه إنما يأتي فيها مع ما فيها من القرآن لأن غالبها سر ومناجات فله فيها تطرق إلى افسادها

(١) سورة ابراهيم الآية : ١٩ و ٢٠ .

على فاعلها وافساد خشوعه بخلاف الأذان ؛ فإنه يرى اتفاق كل المؤذنين على الإعلام وعموم الرحمة لهم مع يأسه من رد ما أعلنوا به عليه ويذكر عصيانه ومخالفته فلا يملك الحدث .

خاتمة : ختم الله لنا بالآيمان ، ولما طال الكلام في أمر الوسوسة أعادنا الله منها وكان الخاطر الذي يخطر في النفس قد يشتبه على المرء ؛ أهو ملكي أو إلهامي أو شيطاني حسن أن نلحق ذلك ببيان ميزان الخواطر على سبيل الاختصار من جمع الجوامع وشروحه فاذا ألقى في قلبك أمر فزنه بميزان الشرع ولا يخلو إما أن يكون مأموراً به أو منهيًا عنه أو مشكوكاً فيه ويعبر عن هذا الذي ألقى في القلب بالخطر . الأول : أن يعلم أنه مأموراً به شرعاً إما على طريق الوجوب أو الاستحباب فليبادر إلى فعله فإنه من الرحمن ؛ ثم يحتمل أن يكون الهاماً من الله تعالى له ويحتمل أن يكون من القاء الملك في الروع والفرق بينهما أن الملك قد تعارضه النفس والشيطان بالوسواس بخلاف الخواطر الإلهمية فإنها لا يردها شيء بل تنقاد لها النفس والشيطان طوعاً أو كرهاً .

الثاني - أن تجد ذلك الأمر منهيًا عنه شرعاً ، فلا تقربه فإن ذلك الخاطر من الشيطان وقد يكون من النفس وقد عرفت الفرق بينهما مما سبق .

الثالث - أن يشك في ذلك الشيء إما مأموراً به أو منهي عنه ، فعليه الإمساك ندباً لحديث : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » وقد يكون الإمساك واجباً انتهى .

قال المناوي على حديث « أن للشيطان لمة وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله تعالى ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان » ما لفظه التمييز بين الممتن لا يهتدي إليه أكثر الناس والخواطر بمنزلة البذر فمنها ما هو بذر السعادة ومنها ما هو بذر الشقاوة وسبب اشتباه الخواطر أربعة أشياء

لا خامس لها كما قاله العارف السهروردي ضعف اليقين أو قلة العلم بمعرفة صفات النفس وأخلاقها أو متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى أو محبة الدنيا جاهها ومالها وطلب المنزلة عند الناس فمن عصم من هذه الأربعة فرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلي بها لم يفرق وانكشف بعض الخواطر دون بعض لوجود بعض هذه الأربعة دون بعض واتفقوا على أن من أكل الحرام لا يفرق بين الوسوسة والإلهام وقال الغزالي اعلم أن الخواطر تنقسم إلى ما يعلم قطعاً أنه داعي الشر فلا يخفى كونه وسوسة ؛ وإلى ما يعلم أنه داعي إلى الخير ؛ فلا يشك في كونه إلهاماً وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من لمة الملك أو لمة الشيطان فإن من مكاييد الشيطان أن يعرض الشر في معرض الخير والتمييز بينهما غامض فحق العبد أن يقف عند كل هم يخطر له ليعلم أنه لمة الملك أو لمة الشيطان وأن يعين النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور اليقين وغزارة العلم .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾^(١) .

والله أعلم نسأله أن يسلك بنا الطريق الأقوم ؛ وأن يعيذنا من شرور الجنه والناس ويكشف عن تلبيس إبليس حجاب الإلباس ويعصمنا من أغوايه واضلاله وأن يجعلنا من فضله من عباده المخلصين بحق أسمائه والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتد لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على النبي الكريم الأواه محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه آمين آمين .

★ تم نسخ هذا الكتاب عن نسخة خطية ضمن المجموعة رقم « ١ » ★
(بمكتبة الحرم المكي الشريف)

بقلم الفقير الى عفو الله علي بن عبد الله عبد الرحمن محمد الأهدل . وتم نسخه ومقابلته يوم الاثنين ٢٤ / ١٢ / ١٤٠٢ هـ .

فهرس إيقاظ الحواس في بعض أسرار سورة الناس

الموضوع	الصفحة
ترجمة المؤلف :	٣
مقدمة الكتاب :	٥
المسئلة الأولى : ما النكتة في ذكر قل من جملة الدعاء ولم تذكر السورة مجردة عن ذلك .	٥
المسئلة الثانية : ذكر في الجلالين أن بسم الله الرحمن الرحيم في الفاتحة متعلقة بقولوا مخدوفة .	٨
المسئلة الثالثة : ما النكتة في ايثار أعوذ على أستعيز .	١٠
المسئلة الرابعة : ما النكتة في ايثار المضارع على أعذني .	١١
المسئلة الخامسة : ذكر في سورة الفلق من الأسماء الحسنى اسم الرب وذكر في سورة الناس ثلاثة أسماء	١٣
المسئلة السادسة : ما النكتة في تخصيص اسم الرب والملك والإله في سورة الناس	١٥
المسئلة السابعة : ما النكتة في الترتيب بينها .	١٥
المسئلة الثامنة : هل الأولى أن يجعل من باب تعدد النعت أو تعدد البديل أو تعدد عطف البيان أو الجميع على حد سوا .	١٦
المسئلة التاسعة : ما النكتة في الإظهار في موضع الإضمار في ملك الناس إله الناس .	١٧
المسئلة العاشرة : هل يصح أن يكون الناس في الجميع اسم فاعل من النسيان حتى يشمل الجن والإنس .	١٨
المسئلة الحادية عشر : قوله من شر الوسواس هل فيه حذف التقدير من شر وسوسة الوسواس .	١٩
المسئلة الثانية عشر : ما النكتة في الاستعاذة من الوسواس ولم يستعذ من عمله .	٢٠

الموضوع	الصفحة
المسئلة الثالثة عشر : ما النكتة في إيثار الذي يوسوس على الموسوس .	٢٠
المسئلة الرابعة عشر : الذي يوسوس بعد قوله الوسواس هل هو من باب الإطناب .	٢١
المسئلة الخامسة عشر : التعريف بالإسم الموصول المعان فما هو المناسب هنا	٢٢
المسئلة السادسة عشر : ما النكتة في إيثار الذى على من يوسوس .	٢٢
المسئلة السابعة عشر : ما محل في صدور الناس .	٢٣
المسئلة الثامنة عشر : ما النكتة في إيثار صدور على قلوب أو أفكار .	٢٣
المسئلة التاسعة عشر . الناس في صدور الناس هل يصح أن يكون اسم فاعل من النسيان ويكون من الجنة والناس بياناً له	٢٧
المسئلة العشرون . هل الناس جمع أو اسم جمع أو اسم جنس .	٢٧
المسئلة الحادية والعشرون . ما النكتة في إيثار الجنة على الجن .	٢٩
المسئلة الثانية والعشرون : ما النكتة في تقديم الجنة على الناس .	٣٠
المسئلة الثالثة والعشرون . ما محل من الجنة والناس .	٣٠
المسئلة الرابعة والعشرون . ما الأولى أن يتعلق من الجنة والناس في قوله في صدور الناس .	٣٢
المسئلة الخامسة والعشرون . من الجنة والناس هل هو ظرف مستقر أو لغو .	٣٢
المسئلة السادسة والعشرون : الإسناد في يوسوس حقيقة عقلية .	٣٣
المسئلة السابعة والعشرون . ما النكتة في ختم سور القرآن بهذه السورة	٢٤
المسئلة الثامنة والعشرون : ما حقيقة الوسوسة لغة وشرعاً .	٣٦
المسئلة التاسعة والعشرون : ما علامة وسواس الإنس وما علامة وسواس الجن .	٣٨
المسئلة الثلاثون . كم أقسام الوسواس .	٤١

الموضوع	الصفحة
المسئلة الحادية والثلاثون . ما أنسابه .	٤٣
المسئلة الثانية والثلاثون ، ما موانعه	٤٤
لإبليس خمسة أولاد جعل كل واحد منهم على شيء	٤٨
تتمة الوسوسة من آفات الطهارة وأصلها جهل بالسنة أو خبال في العقل	٤٩
خاتمة ختم الله لنا بالإيمان ، هل الخاطر ملكي أو إلهامي أو شيطاني والفرق بين كل منهم .	٥٠

★ لقد تم بحمد الله وتوفيقه طبع هذا الكتاب ★

يوم الخميس الموافق للخامس عشر من شهر رجب الحرام الفرد
سنة ثلاث وأربع مائة بعد الألف من الهجرة الشريفة